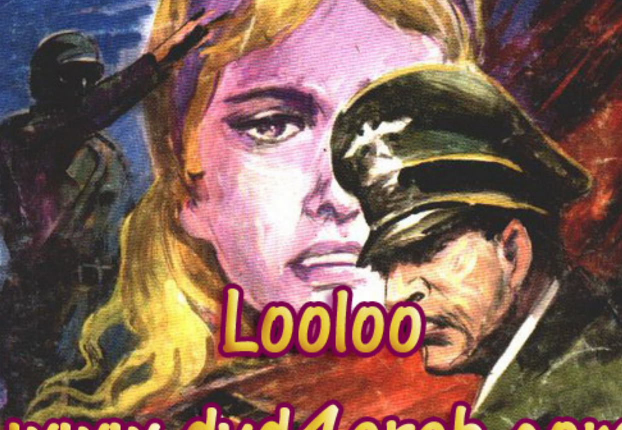
روايات مصرية للجيب

27

فانتازيا

آخر أيام الرايخ



طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٩٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٩٨٢٧٠٠٢

مقـــدمة

اسمها (عبير عبد الرحمن)

إنها لا تملك شيئًا من رقة اسمها ، ورشاقة اسمها ..

إن (عبير) ليست جميلة بأىّ مقياس ، ولا تجيد القتال أو قيادة السيارات ، وليست عالمة أو أديبة ممثلة ، ولا تملك مؤهلاً دراسيًّا محترمًا ..

إن (عبير) هى إنسانة عادية إلى درجة غير مسبوقة .. إلى درجة تجعلها فريدة من نوعها .. وتجعلها جديرة بأن تكون بطلة السلسلة ..

لقد قابلت (عبير) (شريف) .. خبير الكمبيوتر الثرى الوسيم ـ والأهم من هذا ـ العبقرى .. وكان (شريف) وقتها يبحث عن فتاة عادية جدًّا ولا تملك أىّ ذكاء .. هذه الفتاة ستخضع لاختبار جهاز (صانع الأحلام) الذى ابتكره ، وهو جهاز قادر على استرجاع ثقافة المرء ، وإعادة برمجتها فى صورة مغامرات متكاملة ..

ولأن (عبير) تقرأ كثيرًا جدًّا .. ولأن عقلها مزدحم

بأبطال القصص ومواقف القصص ؛ صار عقلها خامة صالحة لخلق مئات القصص المثيرة ..

(عبير) سترى القصص التى عشقتها .. ولكن مع تحوير بسيط : إنها ستكون جزءًا متفاعلاً فى كل قصة ! ستطير مع (سوبر مان) وتتسلق الأشجار مع (طرزان) .. وتغوص فى أعماق المحيط مع كابتن (نيمو) ..

وتزوج (شريف) (عبير) .. ربما لأنه أحبها حقًا .. وربما لأنه كان بحاجة إلى إبقاء فأر تجاربه معه للأبد .. ونعرف أن (عبير) حامل ..

وتواصل (عبير) رحلاتها الشائقة إلى (فانتازيا) .. ترى الكثير وتعرف الكثير .. وفى كل مرة ينتظرها (المرشد) ليقودها إلى حكاية جديدة ..

إن (عبير) تنتمى إلى (فانتازيا) .. أرض الخيال التى صنعها الكمبيوتر لها من خبراتها ومعلوماتها الخاصة .. وأعاد تقديمها لها من جديد ..

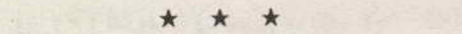
(فانتازيا) هى المهرب من براثن الواقع .. وكل الوجوه التى لا تتغيَّر ..

(فانتازيا) هى الحلم الذى صاغته عبقرية الأدباء

على مرّ السنين .. ولم يكن من حقنا أن نكون جزءًا منه .. لكن هذا فى مقدورنا الآن ..

لسوف نرحل جمعيًا مع (عبير) إلى (فانتازيا) .. نضع حاجياتنا وهمومنا فى القطار الذاهب إلى هناك ..

هو ذا جرس المحطة يدق .. وهدير المحركات يدوى .. إذن فلنسرع !



١ـ أعرف أنك تعرفين ..

حين عادت من مغامرتها ، وودعت (هوميروس) وكل عالم (الأوديسة) الساحر المخيف ، فتحت عينيها لتجد أنها جالسة أمام الحاسب الآلى ، فى بيئة DOS الكئيبة الخالية من الألوان والأصوات ، ولاشىء سوى علامة المحث : C :\> تطالبها بالأمر التالى ..

فكرت فى أن تجرب جولة أخرى ، لكنها عدلت عن ذلك لأن البيت يحتاج إليها الآن ..

نهضت من المقعد وعظامها تؤلمها كأنها كانت بالفعل بين أنياب (شيللا) أو تصارع السيكلوب .. نظرت للساعة فوجدت أن الحلم السابق استغرق ساعة إلا عشر دقائق ، وهذا معتاد فى فانتازيا .. القصة التى تطالعها أنت فى مائة وخمسين صفحة تقريبًا ، تعيشها (عبير) فى ساعة .. ساعة قد تحوى قرونًا وأجيالاً وأبعادًا لانهاية لها ..

كان (شريف) واقفًا هنـاك فى الصـالة أمام جهاز التلفزيون الصغير ، يداعب أزرار التحكم عن بعد باحثًا عن قناة مناسبة .. يبدو أنه قد عاد من العمل من فوره ، ووجدها تخوض حلمها فآثر أن ينتظر حتى تفرغ ..

سألها دون أن يلتفـت للـوراء ، وقـد سـمع صـوت خطاها :

- « هل كان جيدًا ؟ »

- « الحلم ؟ كان .. كان .. كان حلمًا !! »

- « هل له موضوع ما ؟ »

جلسـت علـى الأريكـة ومـدت يدهـا لزجاجـة المـاء بجوارها ، وجرعت جرعة سخية ، ثم قالت :

- « كنت ألعب دور (بنيلوب) فى (الأوديسة) .. »

- « لم أقرأها قط .. أعرف عمّ يدور الأمر كلـه ، لكنـى لـم أطق صبرًا لقراءة كل هـذا الهـراء عـن صراعات آلهة الأوليمب .. »

قالت بلهجة ذات معنى :

ـ « كنت (بنيلوب) المخلصة التى راحت تنتظر زوجها وتذود عن شرفها ، بينما كان هو ينعم بوقته إلى جوار (كاليبسو) الحسناء .. ربما كان مسحورًا .. ربما كان مفتونًا .. لكن النتيجة واحدة .. »

لم يعلق وقد فطن بذكائه إلى أن كلامها يحمل ما هو أكثر من مجموع أجزائه .. ضغط مزيدًا من الأزرار فى عصبية بحثًا عن قنوات لا وجود لها .. فقالت مرة واحدة :

ـ « كنت فى مقر عملك اليوم .. »

نظر لها بدهشة واتسعت عيناه ، فأردفت :

ـ « قابلت الآنسة (رانية راشد) .. من قسم الصيانة .. فتاة لطيفة حقًا »

قطب جبينه وغمغم :

ـ « لا أعرفها .. هل تعرفين عدد المستخدمين فى شركة بهذا الحجم ؟ ولكن كيف ولماذا أقدمت على

حماقة كهذه ؟ أتراني نسيت أن آخذ شطائري أو كراس الرياضيات إلى المدرسة ، وأنت أمي التي لحقت بي لتذكرني بها ؟ »

ثم فكر قليلاً والتمعت عيناه في فهم وأردف :

- « لحظة .. أم هو تفتيش ؟ مرور مفاجئ كالذي يقوم به المديرون ووكلاء الوزارات ؟ »

قالت في صبر وهي تطيل مقاطع كلماتها :

- « أنت كذبت علي .. كذبت علي مرتين وربما أكثر .. بل إنك .. »

هنا كانت طاقتها على المواجهة قد تلاشت ، ففرت فرارًا إلى الحمام وأغلقته على نفسها ، وهناك راحت تمارس النشاط الروتيني الذي تمارسه كل أنثى في الحمام : راحت تبكي ..

* * *

كان (صفوت) كما عهدته بالضبط بدينًا متلاحق الأنفاس ودودًا متفهمًا ..

كان جالسًا أمام جبل من المقرمشات فى طبق صغير ، وجواره زجاجة المياه الغازية إياها ، وقد راح يصغى لها فى صمت والعرق يتفصد من جبهته ، حتى فرغت من قصتها الطويلة .. كان الحر يخنقه ، ولم يكن راغبًا فى سماع المزيد من مشاكل الآخرين لأن المشكلة الوحيدة فى العالم الآن كانت ضغط بطنه العملاق على حجابه الحاجز ..

فى النهاية قال لها :

- « كما أرى يامدام (عبير) .. ليس هذا هو (شريف) الذى أعرفه .. (شريف) لايفهم معنى العواطف المبالغ فيها ولا التهور ولا النزق .. وحين كنا نحن شبابًا طائشين كنا نشعر بأنه شيخ فى العشرين من عمره .. إن لديه فى موضع القلب معالجًا مركزيًا ، وفى موضع المعدة وحدة تخزين .. »

- « لكن هناك لحظة ما يفسد فيها الخبز الطازج ، ويتعثر الجواد الأصيل .. لابد من لحظة ما .. »

- « (شريف) ليس رغيف خبز وليس جوادًا .. إنه (شريف) .. وهو لا يتغير .. »

- « والأدلة التى قلتها لك ؟ »

فك حزامه قليلاً ليكسب بعض الأنفاس التى تسمح له بأن يقول :

- « ربما كان هناك نوع شاذ من الخلط .. أعتقد أنه لاسبيل للتأكد إلا من فمه هو .. وعندها سيكون عليك أن تعلنى ما تريدين بوضوح وصراحة .. هل تعرفين ما تريدن ؟ »

- « الحقيقة .. فقط الحقيقة .. لن أظل مخدوعة للأبد .. »

قالتها فى شمم وكبرياء ، مما جعله يبتسم :

- « دعك من هذه العبارة التى بهتت من فرط استعمالها .. الحقيقة ليست دائمًا جنة المعذبين .. ربما لأسباب كهذه يظل الناس يكذبون على مريض السرطان حتى اللحظة الأخيرة ، زاعمين أنه يعانى بردًا بسيطًا ..

هبى أن (شريف) مر بمراهقة متأخرة ، جعلته يشعر بحنين لأيام الشعر والخطابات المعطرة المدسوسة فى الجيوب .. أليس من الحكمة ألا تواجهى هذه الحقيقة وتدعيها تفنى من تلقاء نفسها ؟ الكلاب تطارد السيارات لكنها لا تفعل أى شىء لو تمكنت من اللحاق بها .. »

قالت فى كبرياء من جديد :

- « (شريف) ليس كلبًا للأسف .. »

- « وهو ليس جوادًا ولا رغيفًا كذلك .. تذكرى هذا .. الحقيقة - لو كانت هناك حقيقة - سترغمك على اتخاذ موقف عنيف .. وربما اتخذ هو موقفًا أعنف بفعل الكبرياء .. ربما أخذته العزة بالإثم .. فى النهاية خراب (مالطة) ليس بالصعوبة التى تتصورينها .. »

فكرت فى كلامه قليلاً .. لم يخل من شىء من المنطق .. إنها حقًا تهاب المواجهة وتخشى اللحظة التى يعترف فيها (شريف) بكل شىء .. لكن الخديعة كذلك مهينة جدًا ..

قالت له وهى تنصرف :

ـ أعتقد أنه لا حاجة بى إلى أن أطلب منك إبقاء هذه المحادثة المقيتة سرًا .. أنا لم أحزم أمرى بعد ، وما زالت الخيارات أمامى متساوية .. »

ـ « كل هذا صحى تمامًا » ـ وراح يلوك المقرمشات والعرق يتساقط من حاجبيه ـ «كرونش كرونش ! » ما دمت لن تقتليه وتضعيه فى أكياس بلاستيكية ، فالأمر صحى تمامًا .. وأنا سأنسى كل شىء عن هذه المحادثة بمجرد مغادرتك الغرفة ! »

★ ★ ★

وحين جاء المساء جلست وحدها فى الغرفة المظلمة التى لم يبق فيها إلا شعاع الشاشة ، وعلامة المحث التى تنتظر فى صبر : C:\>

خطر لها أنه من المهين أن تترك هذه المشكلة لتفر إلى عوالم خيالية .. ثم فطنت إلى أنها ستعود .. حتمًا

ستعود لتواجه كل شىء .. إن (فانتازيا) هنا تلعب معها دور من يدخل لإزالة توتره فقط ..
إنها بحاجة لساعة أخرى فى (فانتازيا) ما دام (شريف) بالخارج ، والطفلة نائمة ، والعشاء على المائدة و(صفوت) لايملك حلولاً سحرية ، و(عبير) لاتجد خيارًا ، والرجال كالماء فى الغربال كما قالت أمها مرارًا ..

وكتبت الحروف السحرية ، ثم ضغطت زر الإدخال ..

* * *

٢ـ حفظ اللّه الملكة ..

المرشد ينتظرها جوار القطار ويتسلى بالكلام مع فتاة ترتدى ثيابًا من العصر الفكتورى ، وترتجف فى انفعال واضح .. فلما رأى (عبير) قادمة لوح بيده محييًا ، ثم ساعدها على ركوب القطار .. وهز كتفه للفتاة ..

دق سقف العربة فتحرك القطار ببطء ، بينما الفتاة تقف خارج النافذة ترمقه بعينين يشع منهما رجاء صامت .. سألته (عبير) :

- « من ؟ قريبتك ؟ »

- « لا .. هى (جين إير) الشابة .. تطالب بأن أتوسط لها عند الإدارة كى ترفع راتبها .. إن راتبها لم يزدد منذ العصر الفكتورى ، لكنى لا أستطيع أن أعدها بشىء .. إن قصص الأخوات (برونتى) لاتلقى

رواجًا هنا فى (فانتازيا) بسبب كآبتها العامة وإغراقها فى الرومانسية ، ومن حسن حظها أنها لم تطرد بعد .. »

ـ « فهمت .. ربما أزور هذا العالم ذات مرة .. اعتدت أن أحب مرتفعات (وذرنج) برغم كل شىء .. »

ـ « مسألة ذوق خاص .. والآن إلى أين ؟ هل تزورين (سيف بن ذى يزن) أم ملحمة (جلجاميش) ؟ أحسبك مللت الملاحم .. لا بأس من بعض تغيير »

كانا الآن يمران فى القطاع الذى يحمل اسم (ألعاب تاريخية) ، وهو ذلك الجزء من (فانتازيا) الذى يعتمد على قصص تاريخية معروفة ، لكن خيال (عبير) يتدخل فيها على طريقة (ماذا إذا ؟) الشهيرة .. ماذا إذا وجدت نفسها وسط هذه الأحداث ؟ وفى كل صوب ترى لافتات تشير إلى جزء من هذا المكان :

« نيرون وحريق روما »

« حرب فيتنام »

« نابليون فى مصر »

« حروب العرب والفرس »

وفوق القطـار حلقت الطائرات العمودية الأمريكية عـابرة حقـول الأرز ، لتحـرق المزيـد مـن القـرى الفيتنامية الآمنـة .. ونظرت للسماء لترى احتراق منطاد (زيبلن) .. بينما صرخ الجنود المسلمون شـاهرين سيوفهم : اللّه أكبر ، وانطلقـوا ليجعلوا إيوان كسرى مسجدًا .. وأخيرًا ترى لافتة تقول : سقوط الرايخ ..

نظرت إلى المرشد فى غير فهم ، وقالت :

- « ما هو هذا الرايش ؟ »

- « لسنا فى ورشة خراطة هنا .. الرايخ هو الإمبراطورية الألمانية التى أراد (أدولف هتلر) أن تحكم العالم .. لكنه فشل فى هذا .. »

- « هل يمكن أن أجد هنا بعض التسلية ؟ »

- « ومن الذى لا يجد التسلية فى لحظات كهذه؟ سوفييت من الشرق وأمريكيون من الغرب ، ووزراء

ينتحرون ، ومتاريس في الشوارع ، وطائرات حلفاء ، ومقر سرى لايعرفه أحد .. بلختصار : هذه أيام ممتعة لمن يقرأ عنها .. كابوس لمن عاشها ، وأعتقد أنك ستكونين مشغولة أكثر من اللازم فى الفترة القادمة .. »

فكرت قليلاً ، ثم قالت :

ـ «ليكن .. دعنى أجرب هذا العالم بعض الوقت .. »

وشدت الحبل بنفسها دون أن تنتظر رأيه ..

★ ★ ★

الضباب فى كل مكان .. والشوارع مبللة من أثر أمطار قريبة .. والقوم فى الشوارع يمشون مقطبى الوجوه مفعمين بالهموم .. والسيارات ذات المقود على اليمين تمشى على يسار الطريق .. هل هذه هى (برلين) إذن ؟

كانت هناك واجهة زجاجية لمتجر ، لكن ما بداخلها كان مظلمًا ، وهكذا صارت مرآة مثالية تمامًا .. دنت منها ووقفت تتأمل وجهها وثيابها .. حسن .. هى

حسناء شقراء كالعادة .. قليلة هى مغامرات (فانتازيا) التى خاضتها بشعر أسود ، ويبدو أن أغنية (رود ستيوارت) القديمة التى تقول : الشقراوات يمرحن أكثر ، هى على قدر من بعد النظر ..

إنها ترتدى معطفًا خاكيًا ، يذكرها طرازه بالصور التى تراها فى الأفلام الوثائقية عن الحرب العالمية الثانية .. وشعرها ملفوف فى إيشارب أنيق ، ما عدا خصلات على الكتفين هى ما دلها على أنها شقراء ..

من خلف ظهرها تسمع ضوضاء الشارع ، وتسمع حديثًا بالإنجليزية بين اثنتين من ربات البيوت .. إنجليزية؟ حتى فى (فانتازيا) لايتكلم الألمان بالإنجليزية .. ثمة خطأ ما على الأرجح ..

دخلت المتجر المظلم ، ولاتدرى لماذا ذلك لكن المهمة كانت مرسومة هنالك فى مؤخرة رأسها .. اتجهت إلى الكاونتر وقرعت الجرس ، فظهر من الظلام عجوز متراخ يبدو عليه الملل .. قالت له وهى تناوله ورقة صغيرة :

ـ « أريد معطفى الرمادى .. »

ما هذا ؟ إنها تتكلم الإنجليزية .. إنجليزية راقيـة جدًا ، والموظف يرد عليها بالإنجليزية العاميـة التـى تلتهم الحروف التهامًا :

ـ « لحظة يا سيدتى .. أرجو أن تلحقى بى .. »

ثم سبقها ليتوارى فى ظلام المتجر الداخلى .. شماعات هنا وهناك ، وآلات غسيل عملاقة .. هذه مغسلة إذن أو مكـان للتنظيـف الجـاف ، ولكن أين بـالضبط ؟ ضبـاب ولغة إنجليزية وسيارات عسراء .. هذه (لندن) دون شك ، ولكن ما دورها فى هذه القصـة ؟ ولمـاذا يبـدأ كل شىء بها ؟

الآن تقف فى غرفة داخلية ضيقة مليئـة بالمرايا ، كغرف البروفة فى متاجر الثياب .. صحيح أنهـا لاتعرف أن المغاسل تتيـح تجربـة الثيـاب للزبـائن ، لكن كـل شىء ممكن هنـا .. والعجـوز يقـف جوارها ويناولها معطفًا رماديًا على شماعة مغلفًا بالمشـمع ، ويقـول لها وهو يخرج ويغلق الباب الجرار :

- «خذى راحتك .. نادينى لو كانت ثمة مشكلة ما .. »

وقفت أمام المرايا عاجزة عن التفكير أو فهم المطلوب منها .. هذه هى البداية وهى بداية قوية من دون شك ، لكن ما معناها ؟ ما نوع المغامرات التى تبدأ فى مغسلة ؟

وكانت الإجابة سريعة لأن إحدى المرايا تحركت ، دائرة حول محورها الرأسى ، وظهر رجل .. رجل هنا بالذات ! ياللمصيبة !! أوشكت على الصراخ ، لكن نظرة واحدة إلى وجهه جعلتها تدرك أنه ليس من هذا الطراز .. إنه مهموم عملى جدًا أقرب إلى الانشغال ، وبصعوبة ينظر إليها .. فقط أشار إلى الداخل - إلى حيث جاء - فى حركة روتينية ، وقال وهو يلوك لفافة تبغ :

- « هلمى .. لكن بسرعة .. »

حائرة شاردة الذهن دخلت إلى حيث أشار ، وكان عالم ما وراء المرآة رحبًا بحق .. كما هو فى القصص الخيالية المعتادة ، لكنه هنا كان عبارة عن ردهة طويلة ، بها مكتب يجلس إليه مجموعة من رجال

الجيش البريطانى ، وقد طلب منها أحدهم البطاقة بشكل روتينى ، وكانت ـ طبعًا ـ تعرف مكان البطاقة ، وهى شىء صغير الحجم كأنه ظفر يد ، يتدلى من سلسلة على صدرها .. ناولته إياها ووقفت تنتظر حتى دقق فيها جيدًا ثم أشار إلى نهاية الردهة ..

تبدأ من هذه اللحظة سلسلة مملة من الإجراءات المتشابهة .. تدقيق فى البطاقة .. تدقيق فى وجهها .. السماح لها بالمرور .. طبعًا فى هذا العصر لم تكن هناك أجهزة للبحث عن السلاح ، ولم تكن هناك طرق إلكترونية لفحص البطاقات ..

لكن الإجراءات برغم هذا كانت معقدة بما يكفى ..

لم تسأل عن سبب كل هذا فهى تعرف وهم يعرفون طبعًا .. ولكنها تساءلت عن الشخص الذى ينتظرها بعد هذا كله .. لن يكون (ونستون تشرشل) بالتأكيد .. فما معنى هذا كله وما أهميتها هى ؟

فى النهاية وجدت نفسها تقف فى حجرة دافئة ، بها

مدفأة تؤدى عملها جيدًا ، وأثاث مريح فاخر .. وكان هناك خمسة من هؤلاء السادة المهمين يجلسون على الأرائك يرمقونها بنظرات بوليسية رهيبة ، أما الرجل البدين الواقف أمام المدفأة يدخن السيجار ، والذى يوليها ظهره .. وإن كانت تتبين بوضوح أنه يرتدى بذلة سوداء أنيقة من الصوف الإنجليزى المعتبر .. هذا الرجل بدا لها مألوفًا بشكل ما ..

وحين استدار نحوها أخيرًا وهو يمضغ السيجار ، ندت صرخة عن شفتيها .. هذا هو ذا (ونستون تشرشل) شخصيًا .. ولا أقل من هذا !!

رمقها بعينيه الزرقاوين الباردتين اللتين تعكسان كل ما تعنيه كلمة بريطانيا ، وقال :

- «اجلسى يا (لورالاى) .. هلا قدمتم لها شرابًا ؟»

هزت رأسها لأن صوتها كان مبحوحًا ، ورفضت أن تتناول شيئًا .. فواصل الكلام بلغته الإنجليزية الراقية الرهيبة التى تمثل ينبوع الإنجليزية للعالم كله :



وحين استدار نحوها أخيرًا وهو يمضغ السيجار ، ندت صرخة عن شفتيها ..
هذا هو ذا (ونستون تشرشل) شخصيا .. ولا أقل من هذا !! ..

- « إذن تفضلى بالجلوس .. أرجو أن تسمحى لى بمناداتك بالاسم الحركى (لورالاى) لأنه يناسبنى أكثر .. وأرجو أن تغفرى لى قلة تهذيبى هذا فى لقائنا الأول ، فلم أكن قط رجلاً يتجاوز حدوده .. »

هزت رأسها من جديد ألا مشكلة هنالك .. كانت تعرف ولع الإنجليز الجنونى بالألقاب وعدم رفع الكلفة ، والرجل يؤثر الموت على أن يخاطبها من دون استعمال لفظة مس أو مسز ..

أردف الرجل بطريقته المتمهلة فى الكلام :

- « (لورالاى) كما تعرفين هى عروس البحر الألمانية التى كانت تنسج شباك شعرها على البحر وتغنى ، كى يأتى البحارة إلى مصدر الصوت ، ويقعوا فى الشرك .. أرى فى هذا الاسم مزيجًا موفقًا من تلخيص مهمتك والفأل الحسن .. والآن أنت تعرفين مهمتك .. كل ما أضيفه هنا هو أن (بريطانيا) كلها - والعالم كذلك - ينتظر نجاحك .. سيقوم الميجور (لاسبيرى) بإعطاء آخر لمسات لمهمتك .. وبعدها تنطلقين ..

« لو خسرت المهمة فلن نخسر سوى حياتك .. أما لو نجحت فلسوف نكون حققنا أكبر ظفر فى تاريخنا .. ولا أخالك تبالين بحياتك كثيرًا من أجل بريطانيا العظمى والتاج .. »

ضغطت على أسنانها وصمتت .. آخر شىء ترغب فيه أو تشتهيه طبعًا أن تفدى بريطانيًا بروحها .. ولو زالت بريطانيا من على الخارطة فهى لا تهتم كثيرًا ، لكنها الآن فى (فانتازيا) وعليها أن تلعب بقواعدها ..

لهذا قالت فى شمم وطنى أصيل :

ـ « أنا مستعدة للموت من أجل التاج .. »

من جديد استدار ليعطيها ظهره ، وقال فى رضا :

ـ « جميل .. جميل .. والآن سيأخذك الميجور لمناقشة النقاط النهائية .. »

نهض رجل حاد النظرات له شارب إنجليزى عسكرى كث ، وأشار لها كى تلحق به فى غرفة جانبية ..

نهضت وهزت رأسها محيية كل هؤلاء السادة المرتابين .. كيف لو عرفوا أنها ليست (لورالاى) وليست إنجليزية !! كيف لو عرفوا أنها (عبير عبد الرحمن) وأنها مصرية ، وأنها جاءت هنا كى تتسلى لا أكثر !!

* * *

قال لها الميجور وهو يقف أمام لوح كتابة كبير :

- « لن تفشلى .. أنت تشبهينها وتتكلمين مثلها تمامًا وتعرفين عنها كل شىء .. لغتك الألمانية لاشك فيها ، وأعصابك قوية كما أثبتت كل الاختبارات .. الواقع أننا محظوظون يا مس (جوديث) إذ وجدناك .. »

إذن اسمها الحقيقى (جوديث) .. وهى تشبهها وتتكلم مثلها .. جميل هذا لكن تشبه من بالضبط ؟

ثم أضاف الميجور وهو يخط أشياء على لوح الكتابة بقطعة الطبشور :

- « طبعًا أنت تعرفين أنه لن يسمح لك بأى اتصال .. أنت على مسئوليتك الخاصة من لحظة الوصول إلى

(برلين) .. سيتم الإنزال الليلة فى الواحدة صباحًا .. هل من أسئلة ؟!! »

أسئلة ؟ هذا الرجل يمزح .. إن كل ما فى ذهنها أسئلة لكنها لاتجرؤ على الإفصاح عنها .. المفترض أنها تعرف كل شىء .. ناولها حقيبة سوداء صغيرة، وقال :

ـ « كل شىء هنا .. لن تجدى أية مشاكل .. والآن يمكنك أن تستريحى فى حجرة ملحقة حتى يحين الوقت .. »

وهزّ رأسه محييًا ثم غادر المكان .. وتلفت هى إلى الحجرة التى أشار إليها ونظرت إلى ساعتها .. هو قال الواحدة صباحًا .. إنها الثامنة مساء الآن .. نظرت إلى الحجرة البسيطة النظيفة فوجدت أثاثها لايتجاوز فراشًا صغيرًا نظيفًا .. ثمة كومود جوار الفراش عليه جريدة .. جريدة (هيرالد تريبيون) تحمل تاريخ مارس 1945 .. والعناوين الرئيسية تتحدث فى حماسة عن انتصارات

جيش الحلفاء المتواصلة ، وتقدم الجيش الأحمر السوفييتى على الجبهة الشرقية ..

ما المطلوب منها بالضبط ؟ وكيف تظل لاتعرفه حتى اللحظة الأخيرة ؟؟

يمكنها على كل حال أن تدرك أنها عملية سرية بريطانية تحمل الاسم (لورالاى) ، ومهمتها حساسة جدًا إلى درجة أن (تشرشل) ذاته قابلها .. ومن الجلى أنها تلقت تدريبًا رهيبًا قبل هذا اليوم ..

تمددت فى الفراش وراحت ترمق السقف ..

ولاتدرى متى غلبها الدفء والإرهاق فأسلمت عينيها لنعاس طويل بلا أحلام ..

* * *

٣ ـ ألمانيا فوق الجميع ..

تحلق الطائرة العملاقة من طراز (ب ـ 17) فوق مياه القنال الإنجليزى ..

من بالداخل ؟ أنتم تعرفون طبعًا .. هذه (عبير) ومعها بعض الجنود .. تجلس فى ظلام الطائرة العملاقة على ما يشبه (الدكة) ، وقد تشبثت بسير من الجلد ، والإضاءة الزرقاء المخيفة تغلف كل شىء حولها .. الآن قد عرفت مهمتها ، وهى مهمة لا تصدق .. وبالتأكيد لم تقرأ عنها قط فى تاريخ الحرب العالمية .. فإما أنها حدثت ولم تكتب ، وإما أنها تهويمة إلكترونية من (دى جى ـ 3) ..

طبعًا لم تكن تملك أدنى فكرة عن أساليب القفز بالمظلة ، والمفترض أنها تلقت دروسًا مكثفة حول هذا الموضوع بالذات .. لكن الحلفاء ما كانوا ليتركوها

تحطم رقبتها فى أثناء القفز الأخرق ، لذا كلفوا أحد الجنود المظليين أن يقفز بها .. أى أنها ستتعلق به كقرد صغير حتى تصل إلى الأرض ..

الآن هم فوق ألمانيا .. قيود الإضاءة تجعل من ألمانيا كلها بساطًا أسود اللون لا يبدو فيه سوى ..

برووم ! بروووم !

... طلقات المدفعية المضادة للطائرات !

نظرت للرجال فوجدتهم متوترين .. هذا مخيف طبعًا حين يتوتر محترفون كهؤلاء فالأمر خطير حقًا .. والطائرة ترتج من حين لآخر كأنما القنابل تنفجر على بعد سنتيمترات منها ..

قال أحد الجنود وهو يشعل لفافه تبغ :

- « بحق السماء ! إن (فريتز) ليس فى أفضل مزاج له هذه الليلة لو كان لى أن أقول هذا ! »

كان أسلوب الكلام الإنجليزى يضايقها .. خاصة

ما يسمونه (صيغة المخافضة)[*] .. فـ (فريتز) متعكر المزاج ولا داعى لقول إنه ليس فى أفضل مزاج .. كما أن أمامها وقتًا طويلاً حتى تتذكر أن (فريتز) كناية عن أى جندى ألمانى ..

انفجار آخر .. لن يمر وقت طويل حتى تجد ظلامًا تامًّا .. ولن تعرف وقتها أن قنبلة أصابت الطائرة فى الصميم .. هنا فقط أضاء النور الأحمر الذى يأمر المظليين بالوثب ..

ابتلعت ريقها فى رعب ، بينما أشار لها الجندى الذى يحمل مظلة أمامية ، كى تتمسك به ، وما كان بحاجة إلى التوسل إليها كى تفعل على كل حال ..

وهوب !! هى الآن فى الهواء .. صحيح أن عينيها مغمضتان ، لكنها تشعر بالهواء يلطم وجهها بعنف .. فتتمسك بعنق الجندى أكثر وتغمض عينيها أكثر .. فجأة تنجذب لأعلى ثم يغدو الهبوط بطيئًا ..

(★) هكذا يترجم الدكتور (محمد العنانى) لفظة Understatement

مرت دقائق كالحلم ، لم يقلل منها صفـير الطلقـات التى تمر جـوار أذنهـا .. بدا لهـا أن الألمـان حمقـى بالتأكيد ، لأنه ما من هدف يمكن تصوره أسـهل مـن هذه المظاهرة السماوية الهابطة ..

وفى النهاية شـعرت بالصدمـة وبـالجندى يتهـاوى من تحتها ، فطارت فى الهواء لتتكـوم وسط العشب المبتل البارد ..

ظـلام .. ظـلام .. ومـن بعيـد تومـض الطلقـات الموجهـة للسمـاء ، وتـرى الطـائرة تبتعد أو تحـاول ذلك ..

هتف الجندى وهو يجمع مظلته :

- « لاوقت نضيعه ! إن سيارة الإسعاف خلف هذه الأشجار !! »

حقًا ! كادت تنسى هذا .. إنهما الآن فى غابة ما .. غابة من النوع الذى تتعلق به المظلات عند سقوطها ومن حسن حظها أن هذا لم يحدث ..

هرعا إلى خلف حزام الأشجار ، وكانت العربة هناك مطفأة الأنوار ، يقف جوارها سائق ألمانى متوتر ، ومعه مسعف ممتقع اللون كالليمون .. يوجد فقط جسم على المحفة فى مؤخرتها .. وبسرعة نزعت (عبير) معطفها ، ليظهر الثوب الأزرق الذى ترتديه ، بينما نقل الرجلان الجسد الراقد على المحفة بسرعة خارج العربة .. كانت هذه امرأة شقراء لم تتبين (عبير) ملامحها لكنها خمنتها ..

وبسرعة رقدت (عبير) على المحفة وأدخلت إلى مؤخرة السيارة ، وسرعان ما كانت العربة تطوى الأرض طيًا فى الظلام ، لأن قيود الإضاءة لم تكن تسمح إلا بإضاءة شاحبة من كشافات العربة المطلية باللون الأزرق ، وهو لون لم يجعل الموجودات أكثر وضوحًا كما ترى ..

لا تدرى كم استغرقت الرحلة ولا المسافة التى قطعتها العربة ..

فقط حين توقفت السيارة سمعت كلامًا بالألمانية (النازية) .. كلامًا شبيهًا بطلقات الرصاص ..

ثم انفتح باب السيارة الخلفى وظهر ضابطان من رجال العاصفة ، ومن الذين يرسمون صاعقتين على ياقات بذلاتهم .. وقال أولهما فى حماسة عسكرية معتادة ، وهو يسلط كشافًا قويًا إلى عينيها :

- « مرحبًا بك يافرويلاين (بيرون) !! إن الفوهرر ينتظرك !! »

★ ★ ★

وقفت جوار العربة تنتظر ، على حين كان السائق يحكى لرجال العاصفة ما حدث :

- « قنبلة سقطت فوق السيارة المرافقة التى كان (الجشتابو) يركبونها .. فانفجرت .. بصعوبة استطعت أن أنحرف قبل أن تبلغنى الشظايا .. ورأيت راكبى الدراجات البخارية يطيران فى الهواء .. اضطررت إلى دخول الغابة بالسيارة وسط الأشجار ، وانتظرت

طويلاً حتى انتهت الغارة .. لم أجد مناصًا من العودة خاصة أن الآنسة كانت على ما يرام »

ونظر أحد الضباط إلى (عبير) وسألها :

ـ « هل انتهى الألم أم أنه علينا أن نعدم السائق ؟ »

ابتسمت فى امتنان ، وهى توشك على الفرار رعبًا ، لكنها تتماسك بصعوبة :

ـ « أشعر بحالة ممتازة .. ما كان يجب أن آكل كل هذه البطارخ .. »

ـ « إن طبيب الفوهرر لا يفقه شيئًا .. ولو كان الفوهرر فى حالة أفضل لأمر بإعدامه .. »

كانت (عبير) تتكلم معه وذهنها شارد تمامًا فى تفاصيل العملية التى دبرها البريطانيون ، والتى عرفت تفاصيلها المخيفة منذ ساعات لا أكثر .. برغم أنها ـ المفترض ـ كانت تتدرب عليها منذ شهور ..

١ ـ (إيفا براون) هى حبيبة (هتلر) المؤمنة به والمخلصة إلى الأبد ..

٢ - الحلفاء الآن على وشك اقتحام (برلين)، والسوفييت أقرب إلى الوصول من الأمريكيين والإنجليز .. إنها الأيام الأخيرة لألمانيا ، ومن الواضح أن نهاية (هتلر) دانية جدًا ..

٣ - من الوارد تمامًا أن (هتلر) سينتحر قبل أن يقع فى أيدى السوفييت الذين سيحولونه إلى هامبرجر .. لا .. السوفييت لا يعرفون هذه الأكلة الرأسمالية طبعًا .. سيحولونه إلى عصيدة سمك الحفش ..

٤ - يجب منع هذا .. يجب منع (هتلر) من الانتحار ، ومن السقوط فى أيدى الروس .. والسبب ؟ السبب يعرفه رجال المخابرات العسكرية البريطانية MI - 6 طبعًا ، ولاتعرفه (عبير) ..

٥ - (جوديث بارتريدج) سكرتيرة حسناء شقراء من أم ألمانية وأب إنجليزى .. قال كل من عرفها إنها تشبه (إيفا براون) بشكل مريب .. وهى تجيد الألمانية وأعصابها من حديد ..

٦ ـ بعد تدريب شاق عسير صار على (جوديث) ـ اسمها الحركى الآن (لورالاى) ـ أن تذهب سرًا إلى (برلين) ، وتحل محل (إيفا براون) وتقنع (هتلر) بأنها كذلك .. ولكن كيف يتم الاستبدال ؟

٧ ـ يقوم عميل للمخابرات البريطانية بدس عقار فى طعام (إيفا براون) .. يصيبها مغص مروع فى بطنها ويكون رأى الطبيب وجوب إجراء جراحة استكشافية ، لايمكن بالطبع أن تتم فى مخبأ الفوهرر تحت الأرض ، وهكذا تخرج سيارة إسعاف مع حراسة متجهة إلى أقرب مستشفى ..

٨ ـ هنا تتم عملية الاستبدال فى أثناء غارة الحلفاء .. يأخذ العملاء البريطانيون (إيفا) إلى مكان مجهول ، وتعود (جوديث) مع سائق الإسعاف إلى مقر القيادة ، وقد تحسنت وزالت الآلام ..

٩ ـ الآن يمكنها البدء بلعبتها .. عليها أن تحرس (هتلر) جيدًا وتتأكد من أن السوفييت لن يظفروا به أولاً ..

هذه خطة غريبة جريئة ، ومن العسير أن تنجح .. لو نجحت فى الواقع لقضى (هتلر) أعوامه الأخيرة موضوعًا فى قفص حديقة حيوان (برلين) يزوره الناس بعد دفع تذكرة باهظة .. لكن لـ (فانتازيا) قواعد أخرى ، ويمكن بسهولة استنتاج أن الخطة نجحت تمامًا حتى هذه اللحظة .. ليس لأن الألمان حمقى ، أو أن الإنجليز شديدو البراعة ..

لكن لأن (عبير) لابد من أن تلقى الفوهرر وتخوض معه المغامرة الأخيرة ..

لابد لها من أن تجرب المخاطرة إلى أقصى حدودها ..

* * *

٤ـ أنباء سيئة ..

اقتادها الحراس عبر ممرات مظلمة مبطنة بالفولاذ في هذا العالم البارد الجليدى ، الذى لايختلف عن أجواء سفن الفضاء فى أى فيلم خيال علمى رأته ..

أخيرًا يدق أحدهم الباب الفولاذى العملاق ، ويدخلها ثم يضرب الأرض بكعب حذائه ذى الرقبة ويهتف :

ـ« هايل (هتلر) ! »

لم يكن (هتلر) فى الغرفة .. كان هناك رجل نحيل القامة كئيب النظرات يجلس على أريكة ، وأمامه رجل ضخم كالثور من الطراز الانبساطى الذى يوقظ صوته الموتى ، وتفزع ضحكته المجلجلة ستائر الغرفة ..

كلاهما كان يدخن فى إفراط ، وينظر لها فى فضول بارد ..

- « اجلسى يا فروبلاين (بيرون) .. لابد أنك مرهقة بعد كل هذا .. »

قالها البدين ثم أشار إلى الحارس الذى وقف كالتمثال ، وقال باقتضاب :

- « اعدموا سائق الإسعاف ، فهو لايستحق أن يكون مواطنًا ألمانيا .. »

صاحت (عبير) فى جزع :

- « لحظة .. لا ذنب له هنا .. لقد كانت الغارات من الكثافة إلى حد أنه ... »

- « ما دام عاد حيًا فالغارات لم تكن كثيفة إلى هذا الحد .. كان عليه إذن أن يوصلك إلى المستشفى .. ماذا تنتظر أيها الجندى ؟ »

ضرب الحارس الأرض بقدميه وغادر الغرفة ، فقالت (عبير) ملهوفة :

- « حرام أن .... »

راتاآآآه !! دوت طلقـات الرشـاش .. دفعـة واحـدة ثم صمتت .. وخطر لها أن هـؤلاء القوم لا يضيعون وقتهم .. فأضافت فى تخاذل :

ـ « ... تعدمونه ! »

قال البدين وهو يشـعل سيجارًا ويسترخى فى مقعـده أو بالأحرى يغطس فيه :

ـ « هذه هى الروح الآرية التى طالبنا الفوهرر بالالتزام بها .. إن الرجل لواسع الثقافة يا هر (جوبلز) .. »

هنـا وثب النحيل ـ الذى اسـمه (جوبلز) ـ وتحسس المسدس المعلق على خصره وصاح :

ـ «ماذا ؟ تقول ثقافة ؟ أنت تعرف أننى كلمـا سمعت كلمة (ثقافة) تحسست مسدسى ! »

سرت (عبير) لأنها جاءت فى هذه اللحظة بـالذات التى قـال فيهـا (جوبلز) ـ وزير دعـاية (هتلـر) ـ أشـهر كلمة قالها على الإطلاق ، والتى اتخذها كـل دكتـاتور شمولى ميثاقًا من ساعتهـا .. إذن هـذا هـو (جوبلز)

أشهر نصاب فى التاريخ ، والذى جعل الأمة الألمانية كلها تؤمن بأن (هتلر) هو المخلص المنتظر الذى سيعيد للجنس الآرى أمجاده ، فمن هو الآخر ؟

كأنما قرر النحيل أن ينهى حيرتها وجه الكلام للبدين قائلاً :

- « هر (جورنج) ؟ لا أعرف لماذا نعطل الفرويلاين (بيرون) عن الفوهرر .. لابد أنه ينتظر .. »

هذا إذن هو (جورنج) وزير الطيران .. لا بـأس .. ثمة أسـماء تذكرها من قراءاتها لكنها لا تذكر ملامح أصحابها .. (شبير) وزير التعمير .. (هلمر) رئيس الجشتابو وأخطر رجل فى ألمانيا .. (بوبر) سكرتير الفوهرر .. (هيس) ذو الحاجبين الكثين والعينين الصغيرتين .. لحسن الحظ أنه ليس هنا لأنه الآن أسير فى إنجلترا ، ولسوف يظل أسيرًا للأبد حتى يموت ..

من دون مناسبة قال (جوبلز) وهو يدون شيئًا فى مفكرته :

ـ « لابد أن تكون الكذبة كبيرة جدًا ، وأن تكون عسيرة على التصديق .. لأن هذا يجعل الجماهير تصدقها بشكل أسهل .. »

لم تفهم (عبير) مناسبة هذه الكلمة لكنها أدركت أنه يقول ثانى أشهر عبارة تُنسب إليه فى التاريخ .. هذا هو ما تعرفه عنه على كل حال .. ونهض الرجلان وفتح أولهما بابًا فولاذيًا آخر يقود إلى ممر يقف عند نهايته اثنان من رجال الصاعقة .. ورآها أحد الجنديين ، ففتح لها بابًا فولاذيًا آخر ..

وهذه المرة كان (ادولف هتلر) يقف فى وسط الغرفة ..

* * *

كان أصغر حجمًا وأكثر نحولاً مما اعتادت أن تراه فى الصور ، كما أنه كان شاحبًا تمامًا ، ولا شىء فيه يوحى بالحياة ما عدا نظرته النارية المعتادة .. الحقيقة أنه الآن كان يعيش أقسى لحظات حياته ، وكان العبء

الملقى على كاهله مريعًا .. الإمبراطورية (الرايخ) تنهار كأنها كانت حلمًا جميلاً لم يعد له حظ من الحقيقة .. حلم بدأ من النصف الثانى من الثلاثينات . وهو الآن يوشك على أن يلفظ أنفاسه الأخيرة ..

لقد كان مجدود الحظ إلى حد غير طبيعى ، وحسب الألمان أنه حقًا لايقهر .. استطاع أن يغزو أكثر أوروبا ، ويحتل فرنسا عدوة ألمانيا العتيدة ، ويوشك على احتلال إنجلترا ، واجتاح الاتحاد السوفييتى الرهيب ..

فجأة تغير الحظ .. استعاد السوفييت قواهم برغم كل ما ـ ومن ـ فقدوه ، وهم الآن يزحفون نحوه بجيش جرار لا عدد له .. ومن الغرب يأتى الأمريكان والبريطانيون مكشرين عن أنيابهم ، و(موسولينى) ـ حليفه الإيطالى الأحمق ـ قد مات .. بعد سلسلة طويلة من الفشل والإخفاق ..

لقد انهارت أعصاب (هتلر) ، ولم يعد ينام إلا بحقنة منومة ، ولم يعد يثق بأحد إلا حبيبته (إيفا) نموذج الجمال الألمانى الآرى كما حلم به دائمًا ..

ما إن رآها حتى بدا شبح ابتسامة على وجهه وقال :

ـ « لا بأس .. لا بأس .. كنت قلقًا عليك ، لكنهم أخبرونى أنك بخير .. »

وأطال النظر إليها .. أطال كثيرًا جدًا .. طبعًا .. فهذا النوع من الخدع القائمة على استبدال شخص بشخص لا ينجح طويلاً .. ولا ينجح أبدًا .. لابد من ثغرة ما .. فى لحظة معينة سيكتشف عدم وجود الشامة .. أية شامة ؟ لابد من شامة دائمًا كما تعلمون .. وحتى لو لم تكن هناك شامة فالأمر هين .. ثمة هالة إكتوبلازمية ما تشع من الأشخاص الذين نعرفهم .. هالة لا علاقة لها بالشكل ولا الصوت ولا الذكريات المشتركة .. هالة لا يمكن وصفها ولا يمكن اصطناعها .. هذه الهالة هى ما سيجلب نهايتها المريعة .. نهاية سترد فى كتب الأساطير فى الأجيال القادمة .. لكن هل بهذه السرعة ؟؟

بعد صمت جعلها تشيب فعلاً قال :

- « لم أر هذه الشعيرات الشائبة فى رأسك من قبل .. »

حقًا ؟ لم تكن شعرة واحدة شائبة حين ركبت الطائرة .. لكن هذا - كما هو واضح - نتاج اللحظات الأخيرة من التوتر .. هذا شىء لم يعمل رجال MI - 6 حسابه طبعًا ..

فتحت فمها لتتكلم ، لكنه لوح بيده ليسكتها وقال :

- « على كل حال من منا يحتفظ برونقه ونضارته الأولين ؟ إن الحلم الآرى ينهار ، ولم يكن هذا هو الوقت المناسب لبدء الرايخ الثالث .. الشعب الألمانى ليس جديرًا بى .. كما يحدث لكل الأنبياء الذين يأتون لقوم غير جديرين بهم .. لهذا تستحق ألمانيا أن تُباد ، وتستحق (برلين) أن تُحرق ! »

كان يتكلم بتلك الطريقة التصاعدية التى يسميها الموسيقيون والمسرحيون (كريشندو) .. صوته يزداد



فتحت فمها لتتكلم ، لكنه لوح بيده ليسكتها وقال :
ـ « على كل حال من منا يحتفظ برونقه ونضارته الأبدين ؟ ...

علوًا ولهجته تزداد تلاحقًا .. وعيناه تزدادان التماعًا مجنونًا .. حتى إنه حين وصل إلى كلمة (برلين) فى عبارته السابقة كان يصرخ كالمجنون ويلوح بقبضته فى الهواء ، ثم ـ بسرعة البرق ـ عاد إلى أسلوب (دى كريشندو) الشهيرة .. همد وراح صدره يعلو ويهبط ، وصار صوته هادئًا ناعمًا ..

ـ « الحقيقة أننى أسأت تقدير الأمور .. لقد كان الجنس الأنجلوساكسونى هو الأجدر والأصلح لحكم الأرض .. لقد خلقت إنجلترا لتبقى .. شعبها يتحمل الحرب والشقاء بإرادة من حديد .. »

دق أحدهم الباب فأمره (هتلر) بالدخول ..

ـ « هايل (هتلر) !! »

قالها أحد الضباط المتحمسين وهو يشد ذراعه اليمنى فى الهواء .. وضرب الأرض بقدمه .. وضرب الأقدام عند النازيين أسلوب معقد حقًا له طقوسه وترتيباته ..

ـ « الجنرال (هاينز جورديان) يطلب مقابلة الفوهرر .. »

ـ « دعه يدخل .. »

ثم راح يدور فى الغرفة فى توتر كأنه نمر حبيس ..
ودخل الجنرال العجوز الغرفة مع خمسة من ضباطه ..
الحق أنه بدا لـ (عبير) موحيًا بالثقة بشعره الأشيب
وجسمه متين البنيان ، وابتسامته المهذبة المتحفظة ..
كان يحمل خرائط وضعها على منضدة فى منتصف الغرفة
وقال فى أدب :

- « الوضع يسوء يا سيدى الفوهرر .. »

نافد الصبر صاح (هتلر) :

- « الوضع يسوء .. الوضع يسوء ! هذا ما أسمعه
من الصباح حتى منتصف الليل .. هلم ! هات
ما عندك ! »

لم يهتز الجنرال وبدأ يتكلم فى برود ، وأدركت
(عبير) هنا أنها تعتبر جزءًا من القيادة أو من
أثاث الحجرة .. يستطيع من يريد الكلام أن يتكلم
أمامها :

- « الجيوش الحادية والعشرون تحت قيادة (مونتجمرى) تقوم بالزحف الأساسى عبر نهر (الراين) ، لكن الجنرال الأمريكى (باتون) قد تمكن مع الجيش الثالث من عبور (الراين) حوالى مليون رجل .. فى الجنوب يتقدم الأمريكان نحو (فرانكفورت) .. الجيش الثانى عشر بقيادة جنرال (عمر برادلى) يتقدم جنوب مجموعة (مونتجمرى) .. بينما فى أقصى الجنوب الجيش السادس تحت قيادة (جاكوب ديفيز) .. هذه المجموعة تضم 7 جيوش و 85 فرقة .. »

- « أىىى !! »

- « لقد خسرنا فى وادى الراين 20 فرقة كاملة ، وأسر 300 ألف رجل ، ومات 60 ألفًا .. بعدها اجتاح الحلفاء (الرور) وهى منطقة - كما تعلم - غنية بالفحم ومصانع الصلب والبترول .. »

- « آخخخخخخخخخ ! »

- « القوات الروسية - للمرة الأولى - بدأت بشن

غاراتها على (برلين) .. الجنرال السوفييتى (جوكوف) وصل إلى نهر (الأودر) بعد اجتياح (بولندا) .. لكنه اضطر للتوقف بسبب الثلوج التى تغطى النهر ، والتى تمنع عبور المدرعات .. لكنه سعيد بهذه الراحة الإجبارية حتى يقوم بصيانة الدبابات .. إنهم ينتظرون الأوامر من (ستالين) ، بعدها يدخلون (برلين) .. ولو كنا نأمل فى حظ حسن فلندع اللّه أن يدخل الحلفاء أولاً ، لأن الروس ينوون أن ينتقموا لكل ما فعلناه بهم !! ولن يكون انتقامهم تجربة جميلة !! »

ـ « أوووه !! »

كان (هتلر) يتلوى يمينًا ويسارًا ويعتصر معدته وهو يسمع هذه الأخبار .. يبدو أنه على وشك الموت ، لكن لا تقلقوا .. إنه يسمع أخبارًا مماثلة يوميًا ومن شهور .. على حين يواصل الجنرال الكلام بلا رحمة :

ـ « التحصينات فى برلين ضعيفة جدًا ، والقائمون عليها صبية لا خبرة لهم فى القتال .. إنهم سيدعون

الصراخ : ماما ماما .. ويبللون سراويلهم عند ظهور أول دبابة للعدو .. »

- « أوووف فففففففف ! »

- « يقول أهالى برلين إن الروس سيقتحمون برلين خلال ست ساعات .. خمس ساعات ونصف للضحك ثم نصف ساعة للاقتحام الفعلى !! »(*)

- « هاااااه !! »

- « الهر (هملر) رئيس الجشتابو ، وهو رجل مشهود له بالكفاءة فى التعذيب وانتزاع المعلومات ، وقد تحول التعذيب فى عهده إلى فن رفيع شديد الرقى يوشك على أن يأخذ مكانه جوار الموسيقا والشعر والغناء .. لكنه صار الآن مسئولاً عن جيوش (الفستولا) .. وهو - مع احترامى له - ليس عسكريًا ، ولم يتلق ثقافة تسمح له بالقتال الميدانى .. »

(★) نحن فى (فانتازيا) حيث لا نثق كثيرًا بما يقال من معلومات .. لكن كل ما ذكر هنا حقيقى تمامًا ..

ابتلع الفوهرر بعض أقراص المهدئ ، ثم اعتدل فى وقفته وقال بلهجة أقوى :

ـ « شكرًا على التقرير الدقيق يا جنرال (جورديان) .. إن الأمور تتحسن وأشعر بأننا سننتصر بلاشك ! والآن عد إلى (الأودر) وتول قيادة جيوش الفستولا .. سأصدر أمرى لـ (هملر) بأن يمنحك مركزه ، وعليك أن تعين الكولونيل جنرال (هاينريتشى) لقيادة هذه الجيوش على الجبهة الشرقية .. »

قال أحد الواقفين :

ـ « لكن تقارير (هاينريتشى) السرية تقول إنه متدين ، ويذهب للكنيسة كل أحد !! »

ـ « لو كان على أن أختار بين ثلاثة شرور هى المتدين والأحمق والخائن ، لاخترت الشر الأول بلاتردد .. إن الرجل بارع ويملك عقلية تاكتيكية تشبه الحاسة السادسة .. »

ـ « هايل (هتلر) !! »

قالها (جورديان) فى حماسة ، وضرب الأرض بكعبه ، ثم جمع خرائطه واتجه ومعه الرجال إلى الخارج ..

قالت (عبير) لـ (هتلر) وهى تحاول استخدام أسلوب (إيفا) فى الكلام :

ـ « لماذا لا تسلم نفسك وينتهى الأمر ؟ »

ـ « هل تمزحين ؟ »

ونظر لها بعينيه الناريتين ثم أردف فى غضب :

ـ « أتحمل هذا الكلام من أى شخص سواك ، بل لا أتحمله من أى شخص سواك ، ولولا هذا لأمرت برميك بالرصاص حالاً .. أنت تعرفين كيف قبضوا على (موسولينى) وعلقوه كالخراف فى خطاف ، وأخذ الناس يتسلون بمشاهدته .. إنهم يدبرون لى بالطبع مصيرًا أسوأ .. لن أكون وسيلة لتسلية هؤلاء القوم أبدًا .. »

ثم نفش صدره وهتف منشدًا :

ـ « ألمانيا فوق الجميع .. »

وخفضت (عبير) عينيها .. إن كلامه منطقى طبعًا ، لكن كيف لو عرف أنها مدسوسة عليه كى تتأكد من

أن الحلفاء سيظفرون به حيًّا ؟ كيف لو عرف أن نهايته هى بالضبط النهاية التى يخافها هو ؟ والطعنة ستأتى من أقرب الناس له ؟

لا تتضايق أيها الفوهرر .. ليست (إيفا) هى التى ستطعنك .. إن الطعنة ستجىء من (لورالاى) عميلة الحلفاء .. لهذا ستكون أقل قسوة إلى حد ما ..

* * *

٥ ـ إنه مرتاب !

كانت حالة (هتلر) العصبية تزداد سوءًا .. فتارة هو متحمس متوقد العزيمة يؤمن بأن كل شيء يمكن إنقاذه ، وتارة هو خائر متردد يرتجف بحركة عصبية ، مؤكدًا أن الكل خانوه وتخلوا عنه ..

والمشكلة العظمى بالنسبة له كانت أن أحدًا لم يعد يجرؤ أن يصارحه بشىء .. الكل لاينقل له إلا أفضل الأخبار ، فهو لم يعد يتحمل الأخبار السيئة بأية صورة ، وكان ناقلو الأخبار الطيبة ـ الكاذبة دائمًا ـ هم (جوبلز) و(هملر) و(جورنج) البدين ..

أما أغرب الأمور فهو أن (هتلر) لم يرتب فى أمرها قط ، وهذا غريب حقًا .. لابد أنه جن بالفعل كى لايعرف أن حبيبته قد تبدلت .. والحقيقة هنا أن (هتلر) لم يكن يمنحها إلا أقل القليل من وقته ـ وهو شىء لم يضايقها

طبعًا ـ كان يقضى الوقت فى مخبئه الخرسانى ، الذى يحرسه رجال العاصفة ، ويجتمع بهذا وذاك ، ويفتح الخرائط ويصدر الخطط ، ويصرخ فى عصبية ، ويضرب المنضدة بقبضته مرارًا ، ثم لا يلبث أن يفقد حماسته ويكتئب .. وتطوى الخرائط من جديد ..

كان لا يزال يعتقد أن إنقاذ كل شىء ممكن .. لكنه كان يتخذ أكثر القرارات حمقًا وتخبطًا ، وكان رجاله يضطرون لتنفيذ هذه الأوامر على كل حال ..

وفى يوم جاء إلى القيادة الكولونيل جنرال (هاينريتشى) ..

* * *

كانت جالسة من دون عمل كعادتها حين رأت رجال العاصفة يقتادون الجنرال (هاينريتشى) ـ القائد الجديد لجيوش الفستولا ـ إلى الداخل ، وقد قاموا بتفتيشه لأنه لا أحد يقابل الفوهرر من دون تفتيش ، بعد محاولة اغتياله التى جرت عام 1944 ..

من النظرة الأولى أدركت أن الجنرال يشبه (شريف) زوجها إلى حد لايصدق .. يبدو أن هذا الرجل سيكون ذا شأن كبير اليوم .. ووجدت نفسها تمشى فى إثره إلى قاعة الاجتماعات التى كان (هتلر) يقف فيها ، ولا بأس من ذلك لأنه لا أحد يأمرها بالانصراف من هذه الأماكن ..

الإضاءة خافتة كأنه كابوس ، والواقع أنه من المستحيل معرفة الليل من النهار فى هذا المخبأ ..

كان (جورنج) هناك ـ ضخمًا كخزانة الثياب أو فرس النهر المصاب بالاستسقاء ـ وجواره رجل صغير الحجم .. أظهر حجمه الضئيل ما بينه وبين (جورنج) من تناقض .. إنه (هملر) قائد الجشتابو .. لم تستطع أن تحبه من النظرة الأولى لأن شيئًا فيه كان يوحى بالدناءة والخسة .. له أسنان بارزة كالأرنب ، وعلى أنفه الأفطس منظار صغير يوحى بالتآمر .. باختصار كان نموذجًا للشخص الضعيف المعقد ، الذى وجد سلطة هائلة تحت يديه ، مما جعله يزداد توحشًا ودناءة ..

أما الفوهرر فكان يقف هناك منحنى القامة ، لايكف عن الارتجاف ، وعيناه كأسان من الدم .. هذه ملامح رجل لم يعد ينام إلا بحقن المورفين ..

قال الفوهرر فى هدوء مفتعل :

تعال يا (هاينريتشى) ، واشرح لنا الموقف .. لكن لاداعى للأخبار السيئة .. »

فى أدب قال (هاينريتشى) :

ـ « كنت أتمنى هذا ياسيدى .. لكن الأخبار السيئة هى كل ما فى جعبتى اليوم .. »

اتسعت عيون الرجال فى ذعر ، وهم لايصدقون كل هذه الجرأة .. أخبار سيئة تقال للفوهرر ؟ ياللهول ويالشجاعة ! إن القبور تعج بالشجعان ناقلى الأخبار السيئة على كل حال ..

قال الجنرال فى هدوء :

ـ « سيدى .. أرى أن نتخلى عن الدفاع عن (فرانكفورت) .. هؤلاء الرجال هناك لن يفعلوا سوى أن يموتوا .. »

انفجر (هتلر) كاللغم الأرضى وراح اللعاب يتطاير من فمه فى كل صوب :

-« أنتم مجموعة من الخونة لا تصلحون لشىء !! يجب الدفاع عن (فرانكفورت) حتى آخر جندى !! »

- « سيدى .. أنا لا أطلب إلا انسحابًا تكتيكيًّا .. هؤلاء الرجال فى كل مكان آخر سيؤدون عملاً أفضل غير الموت .. »

- « ولا متر للوراء !! »

هنا تدخَّل (جورنج) بصوته الغليظ وطريقته الكاسحة :

- « أنا مستعد لتقديم مائة الف جندى من سلاح الطيران للدفاع عن (الأودر) .. »

نظر له (هملر) فى حقد وقال :

- « قوات العاصفة يشرفها أن تقدم خمسة وعشرين ألفًا للدفاع عن (الأودر) !! »

كان (هاينريتشى) يوشك على الإصابة بنزف مخى من الغيظ .. فهؤلاء القوم يتبرعون بما ليس لديهم .. إنهم يحسبون الأمر مزادًا علنيًا ؛ بينما القوات التى يقدمونها ضعيفة مخلخلة واهية بلاتدريب ، وهى لاتزيد على الشيوخ الذين سيأتون بهم من ملاجئ العجزة ، أو الأطفال الذين أتوا بهم من المدارس ..

قال لـ (هتلر) محاولاً تمالك أعصابه :

ـ « سيكون تحت يدى جنود لم يطلق أحدهم طلقة رصاص من قبل .. ما قيمة هؤلاء أمام الجيش السوفييتى المدرب عالى الكفاءة ؟ »

هز الرجال رءوسهم فى استياء ، وطقطق بعضهم بلسانه غير مصدق لهذه الروح الانهزامية ، وقال (هتلر) :

ـ « لو كنت تدخل الحرب لتكسبها فلسوف تكسبها ! هذا ما يجب أن تعرفه وتعلمه لجنودك ! »

وأضاف (جورنج) ليزيد النار اشتعالاً :

ـ « لقد رأيت قواتك أمس ، ووجدتهم مدللين غير صالحين للقتال .. لا يفعلون شيئًا سوى لعب الورق والجلوس فى الشمس .. لو أنك كنت قائدًا حازمًا لأمرت بإعدام ألف جندى ، وعندها سيتبعك الآخرون فى حماسة !! »

نظر (هاينريتشى) للجميع عاجزًا عن الكلام ، ثم جمع خرائطه وقفازيه ووضع الكاسكيت فوق رأسه ، ثم ضرب الأرض محييًا وغادر المكان ..

كان لدى (هتلر) رجال عسكريون ممتازون حقًا .. بل ربما هم أبرع من عرف التاريخ من عسكريين ، لكنه لم يعطهم الفرصة بدكتاتوريته المعهودة .. وجعل بعضهم ينتحر فعليًا مثل ثعلب الصحراء (روميل) ـ الذى أرغم على الانتحار ـ وجعل بعضهم ينتحر معنويًا ، مثل (هاينريتشى) وسواه ، الذين لم يعودوا يفهمون كيف تدار هذه الحرب ..

ظل الجميع صامتين ، على حين غادر (هتلر) الغرفة بلا كلام ..

كان المشهد مؤسفًا .. وكانت (عبير) لاتفهم كل هذه التفاصيل العسكرية ، لكنها طيبة القلب لاتملك إلا أن تشعر بالأسى من أجل الدكتاتور الذى يعيش آخر أيامه .. والمصريون على كل حال لايشعرون بكراهية خاصة نحو (هتلر) فهو لم يؤذ العرب بشكل خاص .. وقد شعروا بأنه سيحررهم من الإنجليز الذين كانوا يحتلون بلادهم وقت الحرب .. بل حاول كثيرون التفاوض مع قواته فى (العلمين) للتنسيق ضد الإنجليز .. والحقيقة هى أن الاستعمار الألمانى والاستعمار الإنجليزى لايختلفان .. كلاهما استعمار على كل حال ..

النقطة الثانية التى تحمس لها العرب فيما بعد هى أن (هتلر) جعل مهمته فى الحياة إزالة اليهود من على وجه البسيطة .. وقد اكتشفوا أهمية هذه النقطة بعدما قرر اليهود أن يكونوا أكثر نازية من النازيين ..

شعرت بوجود منفر يدنو منها ، فالتفتت للوراء لتجد الهر (هملر) قائد الجشتابو وقوات العاصفة الشهير .. الجشتابو ـ لمن لايعرفون ـ هى المخابرات النازية ، والعاصفة هى قوات الشباب الموالى لـ (هتلر) المتعصب

للنـازية بجنـون ، فلو أنصفوا لأطلقوا عليهـا اسم (قوات الكارثة) .. وقد كان مجيء قوات العاصفة إلى مكـان آمـن يشبه العاصفـة فعلاً .. وفـى هـذه الأيـام بالذات كانوا يمرون على البيوت بحثًا عن أى شـاب مختف فى داره .. عندها كانوا يسحلونه فى الشـوارع ، ويشنقونه بأسلاك البيـانو عنـد أقرب عمـود نـور ، ويعلقون على صدره لافتة تقول : خائن ..

الخلاصة أن الهر (هملر) العزيز كان هو المسئول عن هذا كله ، وهو الآن يرمقها فى فضول !

هزت رأسها محيية فى ارتباك ، وتظاهرت بأنها ليست عميلة للحلفاء .. إن هذه العوينات الصغيرة تـرى الأفكـار بالتأكيد ، وبالتـأكيد يعرف كل ما تفكر فيـه .. حاولت ألا تفكر إلا فى شكل الأوردة على ظهر يديها ..

قال لها وهو يشعل سيجارًا شيطانى الرائحة :

ـ « لاحظت يا فرويلاين (براون) أنك لم تغمرينـا بسحرك هذه الأمسية .. »

سعلت قليلاً وقالت فى اشمئزاز :

ـ « لا مجال للنساء فى حديث الاستراتيجية .. »

ـ « هل تعتقدين أننا سنفوز بالحرب ؟ »

ـ « لا أعتقد إلا أن الفوهرر على حق دائمًا .. »

كانت تسائل نفسها عن مغزى هذا الحديث المسموم .. هل هو يشك فيها ؟ ربما .. هذا وارد .. إن الرجل قادر على الشك فى خالته ذاتها .. لكن هل يصل إلى يقين ؟ وما الخطأ الذى ارتكبته هى ؟

قال لها وهو يمسك بكأسين وزجاجة :

ـ « سأقدم لك كأسًا .. إن الإنجليز يجيدون صنع بعض الأشياء .. »

ـ « أنا لا أشـ... أعنى لا أريد أن أشرب الآن .. »

كاد لسانها ينزلق .. ربما كانت (إيفا براون) تشرب الخمر .. من يدرى ؟ ليست واثقة من هذه النقطة .. أخطاء صغيرة كهذه هى ما يؤدى إلى سقوط أعظم الخطط ..

قال لها بطريقته الملساء :

- « غريب هذا .. كنت أعرف أنك والفوهرر لاتتذوقان الخمر أبدًا .. »

- « وأنا رفضت أن أشربها .. »

- « نعم .. لكنك ذكرت كلمة (الآن) .. وهذا يعنى أنك قد تشربين فى حين آخر .. »

ثم ناولها الكأس برغم كل شىء ، وتناول زجاجة ملأى بعصير البرتقال وصب لها بعضه فى كأسها كى تشاركه نخب الرايخ على حد قوله .. رفعت الكأس إلى شفتيها وعقلها يموج بالأفكار السوداء ..

فلما انتهت مد أصابعه كى يأخذ منها الكأس الفارغة .. لماذا أقول (أصابعه) ؟ لأنه مد أصابعه فعلاً ليمسك الكأس من القاع ، وهى الطريقة المعهودة لدى رجال الشرطة كى لاتتلف البصمات ..

بصمات ؟ الأمر واضح إذن ، وهى فى مأزق ..

وكان تصرفها سريعًا يتناسب مع تدريبها الشاق فى المخابرات الحربية البريطانية .. سعلت وأسقطت الكأس على الأرض ليتهشم إلى ألف قطعة .. وصاحت فى جزع :

ـ « رباه ! ما أغبانى ! أنا خرقاء اليوم !! »

قال فى لهجة ذات معنى :

ـ « بالعكس .. أنا لم أر حضور ذهن وسرعة بديهة كالتى لديك ! لكن الفرص ما زالت متاحة كى نتناول المزيد من الكئوس ! »

لكنها كانت قد قررت من هذه اللحظة أن (الإكزيما) ستصيب يديها .. ستجعلهما بشعتى المنظر ولسوف تحتاج إلى ارتداء قفاز طيلة الوقت ..

هناك نقطة واحدة فى صالحها هى أن الرجل يخاف (هتلر) .. ولن يعنف بها بسبب (هتلر) الذى لن يصدق طبعًا أن حبيبة قلبه ليست هى حبيبة قلبه !! لن يتخذ (هملر) فعلاً عنيفًا ما لم يتأكد مائة بالمائة .. ثمة نقطة أخرى مهمة هى أنهم فى زمن محدود التقدم العلمى ..



سعلت وأسقطت الكأس على الأرض ليتهشم إلى الف قطعة..وصاحت في جزع : ـ « رباه ! ما أغباني » ! ..

لا سبيل لإثبات شخصية المرء إلا ببصماته وخطه .. لو كانت هذه القصة عام 2001 للعبت البصمات الوراثية دورًا مخيفًا ، وكان يكفيه أن يظفر بشعرة من رأسها أو منديل تمخطت فيه ، وعندها كان سيجد بسهولة بعض الشعيرات فى فرشاة شعر (إيفا براون) الأصلية .. ويثبت الكمبيوتر أن ترتيب القواعد فى الحمض النووى مختلف بين العينتين .. وهكذا .. طاخ أو بوم أو بانج أو صوت الشنق لو كان له صوت !!

ولكن ما الذى يثير ريبته ؟

ليتها تعلم ما الذى نسيه أولئك القوم فى MI - 6 وهم الفخورون بأنهم يستطيعون إقناع النملة أن ما تلتهمه عسل وليس ملحًا !

وما لم تعرفه (عبير) طبعًا هو أن الجاسوسية لعبة يلعبها اثنان .. وكما أن الحلفاء اخترقوا أكثر أجهزة (الجشتابو) ، فإن (هملر) كان لديه عملاء فى MI - 6 وهم من أخبره بأن الحلفاء يدبرون لعبة ما .. لعبة

قائمة علـى استبدال إحـدى الشـخصيات اللصيقـة بالفوهرر .. إحدى الشخصيات اللصيقة ؟ هو لم يتبدل وكذا (بوبر) وكذا (شبير) وكذا (هيرمان جورنـج) الذى لا يستطيع أحد العثور على من يماثله حجمًا .. بالاستبعاد تبقى (إيفا براون) ..

فماذا عن (إيفا براون) ؟ إن النساء كالبحر يتغيرن فى كل يوم ، لكن تغييرًا معينًا فى وجهها وطباعها كان أكثر من اللازم ، وهو رجل أمن وعينـه خبيرة لا تفوت تفاصيل كهذه ..

لماذا تغيرت (إيفا براون) ؟

ولماذا صارت أميل للصمت ؟

ولماذا لم تعد تدندن بألحان (فاجنر) كعادتها ؟

يمكن تفسير هذا بأن الوضع المتردى لألمانيا لابد أن يغير فتـاة الرايخ الأولى ، خاصة وهى المرشحة الأولى للتعليق من خطاف إلى جوار الفوهرر كما حدث لفتاة (موسولينى) البائسة (كلارا بيتاتشى) ..

لكن لا .. إنه بحاجة إلى الكثير من أقراص الهضم والصودا كى يبتلع تفسيرًا كهذا ..

عليه أن يراقب بحذر .. بهدوء .. لأن الفوهرر لو أحس بشىء لغضب غضبًا شديدًا ولن يتورع عن إعدامه هو ..

* * *

٦ ـ التحقيــق ..

كـان الحلفـاء الآن يؤمنـون تمامًـا أن (هتلر) فـى (برلين) ..

فى البداية لم يصدقوا هذا ، وانتشرت بينهم إشـاعات عن مخبأ سـرى مخيف فـى (برختسجادن) جنوبـى (ميونخ) اسمه (عش النسر) ، يحرسه رجال العاصفة ، وبه أسلحة سرية كيماوية ـ وربما نووية ـ لا يمكـن وصفها ، وليكونـن هذا المخبأ هو المعقــل الأخـير للفوهرر الذى سيخوض فيـه معركتـه الأخيرة ، وهى معركة مرعبـة بالتأكيد .. سيفعل بالضبط ما يفعله حيوان (الولفرين) المحاصر .. إنه سيمزقهم إربًا قبل أن يموت ..

لكن المصادفات ساقت إليهم تقرير مخابرات يقـول إن (هتلر) فى (برلين) ، وبالتحديد فى مخبأ سرى مدعم بالخرسـانة يقـع تحـت مبنـى المستشـارية فـى شـارع (فلهلم شتراسه) ..

كان هذا أجمل من أن يصدق ، لكنهم ـ كما قلنا ـ كانوا يرغبون فى الوصول إليه حيًا .. ولما كان من العسير أن ينجحوا معه بحيلة كالتى مارسوها مع (إيفا براون) ، فإنهم وضعوا كل أملهم فى جاسوستهم هذه ، وراحوا يواصلون الحرب فى أوروبا ، آملين أن يصلوا قبل السوفييت ولو بربع ساعة ..

★ ★ ★

والذى لم تعرفه (عبير) ولم يعرفه التاريخ الذى كتب عن الحرب ، ولم يعرفه كاتب هذه السطور من قبل ، أنه فى هذه اللحظة فى (برختسجادن) ، فرغ البروفسور (فون كاوفمان) من فصل الأسلاك كلها .. كان عليه أن يتأكد من كل التفاصيل لأنه لا مزاح فى أمور كهذه ..

أعاد المساعدون قضبان (الجرافيت) إلى مكانها ، وابتسم هو فى ثقة ورضا :

ـ « لم يكن (روزر فورد) محقًا .. »

ثم نظر إلى الشاب المتحمس الواقف جواره وقال :

- « هل دونت القراءات كلها ؟ حسن .. لن نعود لديارنا اليوم يا شباب .. سيكون الغداء على نفقتى وهنا .. »

★ ★ ★

واستمرت حياة (عبير) الكئيبة - ذات القفازين - فى هذا الوكر .. حقًا كان المرشد محقًا حين قال إن هذه الأحداث كابوس لمن يعيشها ، ممتعة لمن يقرؤها ، وكانت كارثة الكوارث أنها تعيشها ..

كان من المستحيل تحديد اللحظة التى سينتحر عندها (هتلر) .. فقد كان يتحمس تارة ويبشر بالنصر ، وتارة يمتلئ هزيمة ويأسًا ويزداد عمره عشرين عامًا ..

وفى يوم دهشت (عبير) حين جاءت إلى المخبأ شقراء فاتنة ، قدمت نفسها باسم (كافى هوسرمان) .. كانت تعمل مساعدة لطبيب أسنان الفوهرر (هوجو

بلاشكه) ، وكانت تحمل مجموعة من المعدات ، والهدف خلع ضرس الفوهرر .. وكل من قرأ تاريخ الحرب العالمية الثانية يعرف أن أسنان (هتلر) كانت مشكلة ، ولربما هى سبب سقوط الرايخ الثالث ..

جلس الفوهرر إلى مقعد عادى لا مقعد طبيب أسنان ، وفتح فمه الكبير ، على حين راحت الشقراء تتأمل أسنانه على ضوء كشاف ..

- « بحق السماء ! لقد سقط الحشو يا سيدى الفوهرر .. لابد من خلع هذا الضرس .. »

قال وفمه مفتوح كفرس النهر ، مما جعل اللعاب يتساقط من شدقيه مع الحروف :

- « إألعيه .. إأهُو يئير أونونى !! »

قالت باسمة وهى تلوح بالكماشة :

- « سيكون هذا مؤلمًا بعض الشىء .. أنت تعرف أن المخدر الموضعى لا يجدى شيئًا مع كل المنومات التى تتعاطاها .. هوب ! »

- « آآ .. أأس .. أأتحمأ .. »

أنشبت الكماشة فى الضرس ، وراحت تقاوم بعضلات كتفيها وساقيها وتتلوى ، بينما الرجل لا يئن ولا يقول كلمة واحدة .. فقط راح يساعدها بأن تلوى فى اتجاه معاكس لحركاتها .. ضرس الفوهرر لا يخرج بسهولة أبدًا ..

أخيرًا سقطت الفتاة إلى الوراء والضرس الدامى فى نهاية الكماشة .. فبصق (هتلر) فى منديله ، وقالت وهى تدس بعض القطن فى فمه :

- « للأسف كان هذا من الضروس المهمة .. »

- « لا بأس .. سأعهد إليك بتركيب طاقم جديد .. إن الأسنان الجديدة من أهم لوازم الصحة ! »

كادت (عبير) تجن .. هذا الرجل لا يفكر فى الانتحار .. بالتأكيد لا يفكر فى الانتحار .. ولربما كان لا يفكر فى الحرب كذلك ، لأن آخر ما يهتم به دكتاتور يجتاح الأعداء عاصمته ، أن يقوم بتركيب طاقم أسنان جديد ..

ونهض (هتلر) من مقعده وحيا الفتاة شاكرًا ، ثم أوصاها بألا تغادر (برلين) لأنه بحاجة إلى خدماتها كثيرًا ..

بدا على الفتاة الحرج والارتباك .. بالطبع كان آخر طلب تريده هو هذا الطلب ، وطوابير الفارين من العاصمة تملأ الطرق السريعة ، بينما عليها هى أن تظل حتى النهاية المريرة للعناية بأسنان الفوهرر ..

وما لاتعرفه (عبير) هو أن السوفييت ـ فى عالم الواقع ـ زجوا بهذه الفتاة فى السجن عشرين عامًا فى حبس انفرادى ، بمجرد أن عرفوا أنها كانت تعالج أسنان الفوهرر ! لكن لهذه قصة لم يأت أوانها بعد ..

خرجت (عبير) من الغرفة ، وقررت أن تذهب إلى مخدعها قليلاً لتنام .. إن الملل يجلب النوم بكفاءة لاتحققها أية منومات ..

مشت قليلاً فى الردهة ، وللحظة خطر لها أنها سمعت صوت شىء يتحرك خلف ظهرها ، ثم ساد ظلام

دامس بدأ من الأطراف واتجه لمركز مجال إبصارها .. قالت لنفسها : ضربة على مؤخرة الرأس ! والغريب أنها بلا ألم !

ثم تكومت على الأرض .. ولم تدر ماحدث بعدها ..

* * *

كانت مقيدة إلى مقعد ، وكان ضوء ساطع يغمر عينيها حتى لا ترى أى شىء سواه ..

رمشت بعينيها الدامعتين ، وحاولت أن تتفادى الضوء الذى يوشك على حرق شبكية عينها ، بينما جاءت الأصوات من الظلام :

- « إنها تفيق .. »

ثم صوت (هملر) الثعبانى الناعم :

- « جميل أن نتمكن من الكلام الآن .. »

كانت أسيرة ، وكانت فى قبضة (هملر) وزبانيته .. كيف ومتى حدث هذا ؟ لاتدرى .. لكنها قد ضاعت

تمامًا دون شك .. لقد كان لديهم أكثر مما يحتاجون إليه من وقت كى يعرفوا اسم زوج خالتها نفسه .. ولو كانوا استعملوا عقارًا مثل بنتوثال الصوديوم - مصل الحقيقة - فقد انتهى أمرها بالتأكيد ..

قال (هملر) فى هدوء :

- « نحن آسفون على هذه المعاملة .. لكننا نريد أن تتكلمى .. »

آه .. إذن هى لم تتكلم بعد .. لكن (هملر) على الأقل واثق تمامًا من أنها ليست (إيفا براون) وإلا لكان يجازف بحياته .. ما كان ليعامل المذكورة هذه المعاملة ..

قالت فى وهن :

- « من أتى بى إلى هنا ؟ وكيف ؟ »

أشعل سيجاره الشيطانى (عرفت هذا من الرائحة وصوت القداحة) وقال :

- « أما من أتى بك فهو نحن طبعًا .. هذا لايحتاج إلى ذكاء .. أما عن كيف ؟ فقد استعملنا نفس الأسلوب

الذى دخلت به إلى مقر الفوهرر .. ضربة على رأسك ، ثم نصرخ فى هلع أنك فقدت الوعى .. يجىء طبيب الفوهرر ويرى أنك بحاجة إلى الذهاب إلى المستشفى حالاً لمعرفة سبب هذه الغيبوبة .. وسرعان ما تحملك سيارة الإسعاف إلى بيتى .. نعم .. أنت فى بيتى ولست فى مقر (الجشتابو) .. »

قالت فى ضيق :

- « هل أكون وقحة لو طلبت أن تطفئوا هذا النور ؟ »

- « لايمكن .. التقاليد أقوى منك ومنى .. وقد حتمت التقاليد أن تتم استجوابات (الجشتابو) وضوء ساطع على عينيك طيلة الوقت ، يمنعك من رؤية وجوهنا .. لِمَ لا ؟ ألسنا نازيين ؟ هذا من أبسط حقوقنا .. علينا أن نستحق سمعتنا الكريهة هذه .. والآن دعينى أصارحك أن موقفك غاية فى السوء .. أنت لم تخدعى سوى الفوهرر .. على كل حال سرنى أن يديك شفيتا من داء الإكزيما .. لقد نزعنا القفازين فى أثناء نومك وعرفنا هذه الحقيقة السعيدة .. ولقد فحصنا بصماتك وقارناها

ببصمات (إيفا براون) الموجودة على مرآة حجرتها .. الآن نحن متأكدون من أنك لست هى .. قطعًا لست هى ، وهو ما لم أكن بحاجة إلى تحليل بصمات كى أقسم إنه صحيح .. هنا يبرز السؤال الأهم فى الموضوع .. لمصلحة من تعملين ؟ »

ووجدت (عبير) القداحة المشتعلة تدخل الكادر لتحوم حول عينيها ، بينما (هملر) يواصل الكلام :

ـ « للروس أم للأنجلوساكسون ؟ »

لم تكن بارعة فى تحمل الألم ، وقررت أن تثرثر كما يريد هذا الرجل .. ستخبره بكل شىء بدءًا بتطعيم الحصبة وانتهاءً بكراسة صديقتها التى سكبت عليها الحبر فى المدرسة ..

فتحت فمها لكن الرجل قاطعها :

ـ « أعرف أنك لن تتكلمى بسهولة لهذا سنلجأ للتعذيب ! »

ـ « لكن أنا .... »

ـ « تحاولين لعب دور البطل .. لكننا سنرى ! »

ـ « لو أمهلتنى دقيقة لـ ... »

ـ « التعذيب الـذى سنلجأ إليـه فريد من نوعـه ، ولا نلجأ إليه إلا حين يكون لدينا ضيوف فوق العادة على غرارك .. إننا سنحرمك النوم ! هذا يحطم أعصاب الأبطال جميعًا .. لن يكون هناك تعذيب بالكهرباء ولا جلد ولا انتزاع أظفار .. فقط الحرمان من النوم .. »

ثم تلاشى صوته وأدركت أنه غادر المكان مع رجاله ..

الأحمق لـم يعطهـا فرصـة لاعتراف كـامل ، هــى راغبة فيه أشد الرغبة !

* * *

لم يكن التعذيب سهلاً ..

بالواقع ـ بعد ساعات من المحاولة ـ أدركت أن الحرق بالكهربـاء أكثر رحمـة وأدنـى إلـى الإنسـانية .. كـان هناك جنديان يقفان جوارها فى الظلام ، بينما الضوء

الساطع المسلط على وجهها يجعلها عاجزة تمامًا عن الاستغراق فى النعاس .. هى التى لم تكن تتحمل أختها التى تضىء النور حتى تقرأ صفحتين أخريين من رواية (رجل المستحيل) قبل أن تنام ..

كلما ثقل جفناها وتهدلا ، فوجئت بصفعة ثقيلة على قفاها من أحد الجنديين ..

تغيب عن الوعى من جديد ، وتحلم .. تحلم أنها .. صفعة أخرى !!

تحلم .. تحلم أنها تحلم .. تحلم بأنها تحلم بأنها تحلم .. تحلم .. صفعة ثالثة ..

تفيق ثم ترى النور الساطع .. تحلم أنها نامت وأنه جزء من الحلم ، ثم يتراخى جفناها .. صفعة رابعة .. رابعة فقط ؟ لا .. لابد أنها تلقت عشرين صفعة حتى الآن ..

لو كانت قد درست علم الأدوية لعرفت اسمًا

لما تشعر به .. إنه مايسمونه Hang Over أو ـ باختصار ـ حالة اللانوم واللاصحو .. وهى شىء ثقيل قاس على النفس .. يصعب وصفه .. يصعب أن ..

صفعة تعيدها إلى عالم الضوء الساطع ولا أقول عالم الواقع ، لأنه لم يعد هناك واقع ..

فى النهاية استطاعت أن تجد الكلمات :

ـ « سأقول كل شىء .. فقط .. نادوه .. »

وسقط رأسها على صدرها ويبدو أنها نامت .. أو فقدت الوعى ..

* * *

نامت عشر دقائق حتى جاء (هملر) مسرورًا ، وأمر بإضاءة النور ..

كان يرتدى روبًا أنيقًا لامعًا ، ويبدو فى أحسن حال ممكن بعد ما نام أربع ساعات متواصلة ، وقلما كان أحدهم يظفر بكل هذا الترف هذه الأيام السوداء ..

أمر الرجال بفك قيودها ، وبأن يجلسوها على أريكة مريحة فى ركن القاعة .. الآن تدرك أنها فى رواق جميل ..

كل شىء أبيض مريح للبصر .. الستائر والسجاجيد والأثاث .. فقط لمسة بسيطة تشيع فى هذا كله من لون أخضر فاتح كلون الكرنب .. وفيما بعد وصف أحد الضباط منزل (هملر) بأنه أقرب إلى الأنوثة منه إلى ذوق رجل العاصفة المخيف ..

أمر (هملر) الرجال بالانصراف ، وتأكد من غلق الباب ، ثم جلس أمامها ووضع خده على قبضته ، وقال :

ـ « أنا بالانتظار .. »

كانت تفتح عينيها بصعوبة الآن ، لكنها تماسكت وقالت له :

ـ « هل تتركنى أنام بعد هذا ؟ »

أشعل سيجارًا آخر شيطانى الرائحة ، وغمغم وهو ينفث كمية سخية من الدخان :

- « بالتأكيد .. »

قالها باسمًا .. ولم تبال هى إن كان كلامه يحمل تلميحًا بالإعدام أم لا .. المهم أن يفعل هذا بسرعة لتعود لنومها .. قالت وهى تبتلع ريقها الذى جففه الضوء :

- « أنا أعمل مع الحلفاء .. »

- « جميل .. جميل .. وما هى مهمتك بالضبط ؟ »

ثم حك ذقنه بأنامله الدقيقة الشبيهة بأنامل أنثى .. أنثى طفلة كذلك ! وأردف :

.. قتل الفوهرر ؟ لقد كان هذا بوسعك ألف مرة .. بل كان بوسع من جعلوا (إيفا براون) تصاب بذلك المغص الذى خدعنا .. »

قالت مغمضة العينين :

ـ « بل مهمتى منع موت الفوهرر .. »

ـ « والسبب ؟ »

ـ « لا أدرى .. رجال الـ MI - 6 يعرفون .. لكنى لا أعرف .. »

فكر قليلاً ، وبدا عليه نوع من الرضا على عكس ما توقعت :

ـ « غريب أن يكون هدف الحلفاء إبقاء (هتلر) حيًا .. ربما هى لحظة نادرة نشترك فيها فى الأهداف .. وهل أنت على اتصال بهم ؟ »

ـ « لا .. لا توجد وسيلة .. »

ـ « هذا غريب .. برغم أننى أشك فى الكثيرين هنا .. يجب أن تجدى سبيلاً للاتصال بالحلفاء وإبلاغهم رسالة .. »

تثاءبت وقالت وهى تسترخى فى الأريكة :

ـ « هذا غير معتاد .. ألن تقتلنى حالاً ؟ »

- « فى الغالب .. نعم .. لن أفعل .. والسبب هو أننى طامح إلى التفاوض معهم ! أريد أن أسهل لهم دخول (برلين) قبل السوفييت .. إنهم سيكونون أكثر رحمة .. أما السوفييت فلن يكون ما يفعلونه أقل من تحويلنا إلى نوع باهظ الثمن من المخللات .. »

- « وهل يعلم الفوهرر هذا ؟ »

ابتسم فى خبث وقال :

- « بالتأكيد لا يعلم وإلا ما كنت هنا أكلمك .. »

كانت حقيقة غريبة لم تدر بذهنها من قبل .. والواقع أن التاريخ سجل هذه المعلومة ، ويمكن الاطمئنان لصحتها : قائد قوات العاصفة وأكثر الرجال حماسة للنازية ، والوحيد الذى كان الفوهرر يثق به ، يحاول التفاوض مع الحلفاء لتسهيل دخولهم (برلين) .. والحقيقة الأخرى أن (جورنج) المتحمس كان هو الآخر يحاول الانفراد بالسلطة فى هذه اللحظات الحرجة ، ومن جديد تكرر الحقيقة نفسها ، أن أكثر الرجال حماسة وتشدقًا

بالوطنية ، قد يكونون هم الخونة .. بينما أكثرهم تحفظًا وميـلاً إلى الواقعيـة المريـرة ـ مثـل (هاينريتشى) ـ قد يكونون أكثرهم وطنية ..

قالت له :

ـ « معنى هذا أن ... »

ما معناه ؟ معنـاه شـىء مهم لكنهـا لاتستطيع أن تستجمع شتات أفكارهـا ، ولا أن تتذكـر لمـاذا بـدأت هذه العبارة أصلاً .. ولكن .. لقد نسيت ما بـدأت بـه العبارة أصلاً .. ياللنعاس !

إنها ....

* * *

٧ ـ فأل حسن ..

فتحت عينيها لتجد أنها فى غرفة نومها بالمخبأ .. كأن ما حدث كان مجرد حلم لا أكثر ..

هل هذا صباح أم مساء ؟ مستحيل أن تعرف لأن الحياة فى مخبأ (هتلر) تحت المستشارية عبارة عن يوم واحد طويل فى الضوء الصناعى الخافت الكئيب ..

كان صوت القصف والانفجار يتعالى بالخارج ، مما أكد لها أن الساعة جاوزت التاسعة صباحًا ، لأن الأمريكيين يبدءون غاراتهم فى هذا الوقت .. الليل للبريطانيين الذين يملكون أجهزة الرؤية الليلية .. أما الروس فيعملون فى أى وقت ..

وكان يكفى سكان (برلين) أن يروا طائرات (سبيتفاير) فى السماء كى يعرفوا أنها التاسعة صباحًا ، وهى ـ كما ترى ـ فائدة غير مباشرة للحرب ..

لماذا أطلق (هملر) سراحها ؟

لا يحتاج المرء إلى أن يكون خبيرًا استراتيجيًا كى يعرف السبب .. لأنه يريد أن تكون هى صلته مع الحلفاء .. وعن طريقها يؤكد لهؤلاء القوم حسن نيته .. إن الرجل عملى جدًا .. عملى وخائن .. ولأسباب يمكن فهمها لم يعد يرغب بحال فى أن يكون فى المعسكر الخاسر يوم يدخل الحلفاء (برلين) .. وهو بتقديره الصائب للأمور لا يملك أوهامًا .. إن (برلين) قد سقطت بالفعل .. صحيح أن الحياة مستمرة ، والجيوش فى كل صوب ، لكن المدينة اليوم أشبه بالدجاجة بعد نبحها .. تمشى وتلتقط الحب من الأرض ، بينما دمها يسيل ويسيل .. ولا يستطيع أقدر الأطباء أن ينقذوها ..

خرجت من غرفتها ، ونظرت إلى التقويم المعلق على الجدار ، والذى يظهر صورة جندى نازى مفتول العضلات ينظر للغد فى أمل .. كان تاريخ اليوم هو الجمعة 13 إبريل ..

الجمعة 13 !



خرجت من غرفتها ، ونظرت إلى التقويم المعلق على الجدار ، والذى يظهر صورة جندى نازى مفتول العضلات ينظر للغد فى أمل ..

هنا سمعت صوت الضحك ، وصوت فرقعات سدادات الزجاجات ، فمشت على أطراف أصابعها لترى ما هنالك فى غرفة اجتماعات الفوهرر .. كانوا يغنون ويهتفون ..

ماذا حدث ؟ هل انتصرت ألمانيا فجأة ؟ صحيح أن هذه (فانتازيا) حيث يوجد بعض اللعب بالتاريخ .. الكثير منه فى الحقيقة .. لكن ليس إلى درجة انتصار ألمانيا طبعًا ..

هنا برز (جوبلز) وزير دعاية (هتلر) وكان يحمل زجاجة يفور منها الزبد ، وصاح فى مرح :

ـ « صباح جميل يا فرويلاين (براون) »

قالت فى ارتباك :

ـ « مع كل هذا القصف .. نعم هو صباح جميل فعلاً .. »

ـ « .. هل سمعت آخر الأخبار ؟ لقد توفى الرئيس الأمريكى (روزفلت) !! »

ثم صاح وهو يرقص :

ـ « مكتوب فى النجوم !! اليوم هو الجمعة 13 .. لكنه بداية حظنا الحسن ! »

وفى قاعة الاجتماع كان الكل يرقص ويغنى لأسعد خبر يسمعونه منذ زمن بعيد .. وللمرة الأولى بدا أن (هتلر) قد استعاد بعض الحياة الخابية فى عينيه ..

خطر لـ (عبير) أن موت الرئيس الأمريكى العجوز قد يكون خبرًا طيبًا ، لكنه لايعنى أى شىء على الإطلاق .. فالخطة رسمت ، والجيوش فى الميدان الآن ، و(إيزنهاور) و(مونتجمرى) و(زوكوف) و(عمر برادلى) و(تشرشل) كلهم أحياء يرزقون .. أى أن ما يحدث الآن أكبر من أشخاص يموتون ويمرضون ويختفون .. وكما قال أحد القساوسة الأمريكيين : حزننا لموت (روزفلت) لكننا رأينا كثيرًا من الرجال يموتون فى هذه الحرب ، إلى درجة أننا نعرف أنه حتى (روزفلت) نفسه ليس ضروريًا !

موت (روزفلت) لا يعنى شيئًا إلا أنه فأل حسن بالنسبة لـ (جوبلز) ، وهو بالمناسبة الرجل الوحيد الذى ظل مؤمنًا بالنازية حتى النهاية ..

قال (هتلر) وهو يلتهم قطعة من الكعك قدموها له :

ـ « أشعر بانتعاش اليوم ، وبأن إيمانى بالجيش الآرى يعود لى .. لقد خلقت ألمانيا لتحكم العالم ، وقد قلت فى الفقرة الأولى من صفحة 228 من كتابى (كفاحى) إن ... هل تذكرها يا (جوبلز) ؟ »

انحشر الطعام فى حلق (جوبلز) فراح يسعل ويحاول أن يجد بعض الهواء .. أخيرًا قال وهو يبتسم فى حرج :

ـ « إنها تلك الفقرة .. هل تعنى الفقرة التى تقول فيها ؟ أوه ! إنها رائعة .. تلك الفقرة .. يا لها من فقرة ! »

وقال (جورنج) نفس الشىء وهو يحاول أن يبدو منهمكًا ..

هنا شعر (هتلر) بألم فظيع فى ضرسه ـ لحسن الحظ ـ فتغير مجرى الحديث ..

الحقيقة أن هذا الكتاب (كفاحى) MEIN KAMPF الذى كتبه (هتلر) فى السجن، والذى بشر فيه باحتلال العالم .. الكتاب الذى استوحاه من أفكار أستاذه (هاوزوفر) ، وكان خليطًا عجيبًا من المعلومات غير الناضجة التاريخية والجغرافية والأنثروبولوجية والنفسية ، والآراء العجيبة .. هذا الكتاب كان عند جميع رجال الحزب النازى ، لكن أحدًا لم يجد البال الرائق ولا السعة النفسية كى يقرأه .. والغريب أن الحلفاء لم يقرءوه كذلك ، برغم أن (هتلر) كتب فيه كل ما ينويه حرفيًا !

المهم أن الموقف مر بلا توابع ، وعاد للاحتفال مرحه الأول ..

وهو مرح لم يكن ثمة شىء يبرره ..

* * *

دبابات (شيرمان) التى يقودها الميجور الأمريكى (هولنجورث) تتقدم عبر الجسر ، وتطلق المدفع

فتنفجر دبابة ألمانية من طراز (مارك ـ 5) ، وتميل على جانبها محترقة ويتصاعد منها دخان أسود كثيف(*) ..

ومن النوافذ المهدمة كان الألمان يطلقون الرصاص من رشاشاتهم ومدافعهم المضادة للدبابات ..

ويتقدم الضابط الأمريكى كالمحموم يبغى احتلال الجسر لكن قذيفة مضادة للدبابات تنفجر جواره ويتحول وجهه إلى كتلة من الدماء .. يتحسسه بحثًا عن أنف أو فم فلا يجد ..

لكنه يصدر أوامره لقوات المهندسين بالتقدم ، هنا ينفجر الجسر كله ، لأن الألمان لغموه ..

المشكلة بالنسبة للحلفاء أن نجاحهم ساحق .. ساحق إلى درجة تجعل خطوط إمداداتهم قاصرة عن اللحاق بهذا التقدم السريع غرب أوروبا .. وكان (أيزنهاور) قد بدأ يكتشف أن هناك مادة مهمة جدًّا لايمكن ربح الحرب بدونها .. هذه المادة اسمها البترول .. وبسببها خسر الألمان بزعامة (روميل) شمال إفريقيا ..

(★) أكثر المعلومات هنا دقيقة وتعتمد على كتاب (المعركة الأخيرة) للمؤرخ العظيم (كورنيليوس ريان) ..

وعلى الجبهة الشرقية كان الجنرال (هاينريتشى) مشغولا ..

كان عليه أن يتوقع بالضبط لحظة بدء الهجوم الروسى على قواته .. وهى عملية اعتادها ، وصار يجيدها ، حتى اشتهر بين الألمان بأنه يملك ما يشبه الحاسة السادسة ..

كان يقرأ تقارير المخابرات ، ويستجوب الأسرى الروس بنفسه طيلة اليوم .. لكنه كان يعرف جيدًا أن الهجوم سيكون يوم 15 أبريل .. لماذا ؟ لا يوجد تفسير .. لكنه اعتاد أن يصغى لأفكاره وحدسه الخاص ..

إن يوم 15 أبريل يبدأ بعد ساعات ..

ووقف للحظة يتشمم الهواء مفكرًا فى عمق ، ثم أصدر الأمر لقواده بالتراجع إلى خط الدفاع الثانى لأن الهجوم الروسى سيبدأ صباح الغد ..

وبالفعل لم يكذب الروس خبرًا ..

كانوا قد حشدوا على الجبهة أميالاً من المدافع المورتار ومدافع الدبابات وقاذفات الصواريخ .. وفى ساعة الصفر أصدر الجنرال (جوكوف) الأمر ، فأضيئت

المصابيح لتجعل الليل نهارًا ، وانطلق هدير نحو عشرين ألف مدفع فى حين واحد .. تفتت قرى بالكامل ، وطارت فى الهواء قطع من الخرسانة والحديد .. وانثنت أغصان الأشجار من قوة الريح الساخنة التى هبت على الجبهة كلها .. وفى (برلين) ارتجت الأرض من هدير المدافع ..

استمر القصف 35 دقيقة كاملة .. وحين انتهى لم يعد واحد من الرجال قادرًا على سماع صوت أفكاره نفسها .. وبصوبة أدركوا أن أجهزة هاتف الميدان ترن منذ زمن .. كانت القيادة تسأل عما تم فى العملية ..

وفى المساء كانت 6500 طائرة روسية تقصف خطوط الألمان وأهدافهم .. أى أن رؤية اللون الأزرق صارت حلمًا عسيرًا .. كأنها أسراب الجراد ..

وحين بدأ الدخان ينقشع والحقائق تتضح ، وحين صار سماع الأصوات ممكنًا ..

عندها فقط أدركوا أنهم كانوا يضربون جزءًا فارغًا من الجبهة .. لقد تراجع (هاينريتشى) بقواته فى

الوقت المناسب تمامًا .. وظل الجيش التاسع سليمًا لم يمسسه سوء !

إن حاسـة الجنـرال الألمـانى الحربية لم تتخل عنه قط حتى فى هذه الظروف ..

المشكلة الوحيدة كانت أن الرجل يعرف أن هذا كلـه هبـاء .. كله عبث وإطـالة لاحتضـار ألمانيا لا أكثر .. إن النهاية محددة سلفًا ، فلماذا لا يتم الاستسلام الآن بينمـا ما زال هناك شىء يدعى ألمانيا ؟

كان هذا هو الفأل الحسن كما وصفه (جوبلز) !

* * *

فى (برختسجادن) ، انتهى البرفسور (فون كلوفمان) من تجربة التفـاعل المتسلسل ، وبدأ فريق العمـل فـى صنع الكرة .. إن الإسراع ضرورى ، ولم يعد هنـاك وقت للعبث أو الأخطاء ..

واتجه إلى سماعة الهاتف واتصل بـ (ألبرت شبير) وزير التعمير والإنتـاج الحـربى .. فوجـده فى قاعـة

الأوركسترا كعادته الأسبوعية .. طلب أن يتصلوا بـه هناك ، وبعد قليـل جـاء صـوت الوزيـر الوقـور ومـن ورائه خلفية بعيدة من الضجيج السيمفونى :

ـ « بروفسور ؟ »

قال البروفسور بلهجة مقتضبة :

ـ « يبدو أننا وصلنا لشىء ما .. »

ثم وضع السماعة وابتسم ..

* * *

٨ ـ فيل هارمونيك ..

رفع المايسترو عصاه ، ثم دق فى خفة على النوتة الموسيقية ليسعل من يريد أن يسعل .. ثم ساد صمت رهيب ..

وعلى الفور بدأت الأوركسترا المكونة من 105 عازفين تعزف مقطوعة لـ (فاجنر) .. وتبادل الجالسون النظرات .. من الأحمق الذى اختار لهذه اللحظات السوداء مقطوعة (جوتردا ميرونج) ـ أى خسوف الآلهة ـ كى تكون آخر ما تعزفه أوركسترا الفيل هارمونيك ؟

لكن (شبير) وزير التعمير والإنتاج الحربى كان هو الذى اختار هذه المقطوعة كنوع من التورية الساخرة ، أو لأن حاسة المسرح عنده تغلبت على خوفه من (هتلر) ..

(شبير) المثقف شديد الرقى ، الذى استطاع أن يجعل من ألمانيا قوة صناعية عظمى وكاسحة .. والذى كان مؤمنًا بالنازية حقًا .. لكنه ـ كأى شخص شريف صريح ـ أدرك أنهم يخدعون أنفسهم .. لقد انتهى الرايخ بالفعل ولم يعد ثمة مجال للمزايدة ..

وبرغم القصف المستمر والقنابل المتساقطة فى كل صوب ، فإن الألمان ـ وهم قوم (بيتهوفن) و(موتسارت) و(باخ) ـ لم يستطيعوا أن يتوقفوا عن حب الموسيقا السيمفونية ، كما لانستطيع نحن التوقف عن حب (أم كلثوم) تحت أية ظروف .. وظلت أوركسترا برلين تعزف كعادتها كل أسبوع ، وظل أهل برلين يحضرون الحفلات أسبوعيًا .. ولم يستطع (شبير) بدوره أن يتوقف عن هذه العادة التى كانت تمنحه القدرة على الاستمرار أسبوعًا آخر ..

كانت (عبير) جالسة جواره فى (البنوار) .. تصغى لهذه الضوضاء السيمفونية وتحاول فهم سر الجاذبية فيها .. لاجدوى .. لابد من قرون من

سماع هذه النغمات والتعود عليها كى يستطيع المرء أن يحبها .. هى التى تجىء كانت تمقت أية موسيقا من دون كلمات حتى تلك التى تجىء بين مقطع وآخر فى أغانى (عبد الحليم حافظ) ، وتشعر أن فى هذا تبديدًا لمالها الذى اشترت به الشريط .. نوع من (الشغت) الذى يضعه الجزار النصاب وسط اللحم !

كان (هتلر) قد طلب من (شبير) ـ الذى يثق به كثيرًا ـ أن يصحب (إيفا) / (عبير) إلى الأوبرا على سبيل الترفيه عنها ، فهى كانت فى أسوأ حال من المعيشة فى هذا المخبأ الرطب المظلم خافت الإضاءة ، وبالفعل صار لون جلدها أخضر ، وصارت عصبية بشكل لا يصدق .. يمكن لـ (إيفا) أن تذهب للأوبرا لكن (هتلر) لايستطيع طبعًا .. ثم إنهم جعلوها تضع قبعة غريبة الشكل على رأسها وعوينات ، تدارى بها ملامحها ..

لم تكن تجد الكثير من الترفيه فى الأوركسترا كماترون ، لكن (هتلر) اعتقد أن هذا سيعيد لها الانتعاش الكامل ..

قالت لـ (شبير) :

ـ « ما زلت أرى أن هذه الفرقة فى .... »

ـ « ش ش ش ش ش ! »

أصدر الصوت من شفتيه فى حزم ، وعاد يصغى بخشوع لهذا الذى يدور على المنصة أمامه .. كلهم خاشع غائب عن العالم ، ويبدو أن نغمات (بتهوفن) حركت فيهم لواعج القلق على المستقبل والخوف من الغد ، لأن كثيرًا من الجالسين فى القاعة كان يخفى وجهه فى منديل أو بين كفيه ..

انتهت الموسيقا للحظة ، فخطر لها أن تصفق ، وضربت كفيها أول مرة ثم ..

ـ « ش ش ش ش ش ! »

فالتصفيق بين الحركات الموسيقية ممنوع ، ولابد من جاهل ينسى هذا فى كل حفل سيمفونى ..

جلست شاعرة بالخجل وبأن الدم يتجمع فى أذنيها .. وشعرت بغيظ من كل هذه القواعد .. من وضعها ؟

إنها ليست شريعة السماء على كل حال ، وبالتأكيد يمكن خرقها فى أية لحظة ، ولن يكون هذا إلحادًا أو تجديفًا ..

الحقيقة أن (شبير) كان شارد الذهن تمامًا ، وكان يتصرف بالسليقة من دون تركيز .. فالليلة كان قد اعتزم أمورًا مهمة ربما تضع حياته فى الميزان خاصة أن الفوهرر جن تمامًا كما هو واضح ..

جاءه مدير القاعة وهمس فى أذنه بشىء ، فانحنى يعتذر لـ (عبير) طالبًا بضع دقائق ، ونهض مع المدير .. وبقيت هى فى الظلام ترمق ما يحدث على المنصة ..

كان (شبير) الآن يرد على مكالمة مهمة جاءته من فى (برختسجادن) .. إنه البروفسور (فون كاوفمان) كما قلنا من قبل .. لكن (عبير) بالطبع لم تعرف هذا ..

كانت مشغولة بمراقبة المسرح ، وبدا لها أن شيئًا غريبًا يجرى هاهنا ..

إنها واثقة من أن عازف الكمان ليس هو الذى رأته فى البداية .. ربما تخدعها عيناها لكن من المؤكد أن العازف كان ذا شارب وعوينات .. هذا الذى تراه رجل أشيب وقور أملس الوجه تمامًا ..

طبعًا لم يلحظ الجالسون هذا لأن وضعها فى البنوار كان يعطيها رؤية بانورامية أقوى ، بالإضافة إلى أن الناس كانوا منتشين لايتابعون التفاصيل ، بينما هى تموت مللاً ولاتجد ماتفعله سوى مراقبة الناس .. هذه الفتاة جميلة .. هذا الرجل يتظرف .. هذه المرأة تستعرض مجوهراتها أكثر من اللازم .. هذا العازف تغير !!

نعم .. لاشك فى هذا ! عازف الكمان الكبير ـ لاتعرف أن اسمه (تشيللو ـ هو الآخر لم يعد ذلك البدين كبير البطن .. إنه شاب نحيل سقيم ..

ثمة شىء غريب مريب يدور هنا ..

ما معناه وما سببه ؟

* * *

عاد (شبير) فجلس جوارها فى البنوار وابتسم لها ابتسامة لم تدر مغزاها ثم عاد يواصل الاستماع للحفل .

ساعة من التعذيب مرت عليها ، أمكنها فيها أن تعد حوالى عشرين أو أكثر من العازفين لم يعودوا هم ببساطة . كأن هذا شىء معتاد فى الحفلات السيمفونية .

انتهى الحفل أخيرًا وتعالى التصفيق .

قال لها (شبير) وهو يتأبط ذراعها :

- « سنجلس قليلاً فى الاستراحة . أنا أرغب فى تدخين سيجار والحديث معك .. »

اتجها إلى القاعة .. وكان وجود (شبير) ومعه رجال العاصفة من حراسه كافيًا كى يفهم الجميع أن عليهم الانصراف .. أشعل سيجارًا وطلب من الحراس الانتظار بالخارج ، بينما صوت دوى الانفجارات وعربات الحريق تنبعث من الخارج .. إن الليل جاء ومعه موعد غارات البريطانيين ، وهم لا يقتصدون فى الذخيرة .. إلى حد أن بعض القنابل لا تجد مكانًا تنفجر فيه ..

قال لها (شبير) بهدوء :

- « متى تنفذين ؟ »

نظرت له فى غباء بضع ثوان .. ثم قالت الشىء الذى يجب أن يقال :

- « أنفذ ماذا ؟ »

- « عملية الحلفاء التى كلفت بها !! »

بدا عليها مزيج من الرعب والحيرة والغباء والصدمة واللوعة والرغبة فى البكاء .. شعرت بأن الإنكار جهد ممل سخيف لا طائل من ورائه ، ولا يخلو من الابتذال .. ولما أدرك أنها لا تجد ما تقول قال بدوره :

- « لا لم يخبرنى أحد بهذا لكنى استنتجته .. »

- « هل لأنى صفقت فى أثناء العزف ؟ القصة هكذا دائمًا .. »

- « هذه نقطة تضاف لشكوكى .. ما من سيدة ألمانية ترتكب هذا الخطأ .. لكن هناك كذلك عشرات العادات

والإيماءات والتعبيرات التى جعلتنى ألاحظ الفارق ، خاصة أننى لم أحظ بالقرب منك من فترة طويلة .. لابد أن الفوهرر جن تمامًا كى لا يلاحظ .. »

قالت له فى شىء من برود :

- « طلباتك ؟ »

وابتسمت فى سرها لأنها تذكرت من تستخدم هذا التعبير فى عالم الواقع .. لكنه لم يلحظ ابتسامتها وقال :

- « الأمر سهل .. لأسباب ما نحن فى نفس المعسكر الآن .. إن الفوهرر كان راغبًا فى تدمير برلين تمامًا حتى لا يجد الأعداء عند دخولهم شيئًا يتكلمون عنه .. كان يرى أن هزيمة ألمانيا سبب كاف كى يزيلها من الوجود .. وقد صارحنى بهذا وطلب منى أن أعد العدة من متفجرات وخلافة ..

« لكنى مهندس .. بنيت هذه المدينة .. بنيت هذا البلد جزءًا جزءًا .. ولا أطيق أن أهدم ما بنيته أبدًا .. لهذا تجاهلت أوامر الفوهرر تحت طائلة الإعدام .. برغم هذا لم أتحمل أن أترك فرقة الفيل هارمونيك لمصيرها ..

هؤلاء العازفون الموهوبون رمز لألمانيا والحضارة الآرية أكثر من (هتلر) وكل الحثالة التى حوله بمن فيهم أنا .. أنت تعرفين أنهم حصلوا على إعفاء من التجنيد منذ بداية الحرب .. لكن الرياح تسير بما لاتشتهى السفن ولن يمر وقت طويل قبل أن يصدر الأمر بتجنيدهم .. تصورى ! كل هولاء العازفين مرهفى الحس سيحملون السلاح ، ولسوف يقتلهم السوفييت أو يأسرونهم .. إن الرصاصة لاتختار ضحيتها ولاتعرف إن كان عازفًا بارعًا أم لا .. كم من الزمن نحتاج إليه كى نربى عازفًا بارعًا كالذى صرعته رصاصة خرقاء كهذه ؟

« لهذا اتخذت تدابيرى لتهريب كل هؤلاء إلى سويسرا ، وكانت ساعة الصفر هى هذا الحفل .. بل إن كلمة السر - هل أقول (لحن السر) ؟ - كانت مقطوعة (جوتر داميرونج) .. وهى تحمل من الإيحاءات ماتحمل .. خسوف الآلهة .. آلهة الرايخ يتساقطون

الواحد تلو الآخر وتحترق (فالهالا) فى معزوفة (فاجنر) العظيمة ..

« لقد أنقذت نحو تسعين عازفًا ، هم الآن فى حافلة تتجه إلى الحدود السويسرية .. وأرجو ألا يصيبها القصف الجوى قبل أن تصل هناك .. »

- « وهؤلاء الذين على المسرح ؟ »

نفث الدخان فى الهواء وقال :

- « جنود طبعًا .. جنود يعرفون العزف .. وقد قمنا بتشغيل أسطوانة أصلية لـ (فاجنر) كى تدارى النقص والخلل الذى سيحدث فى الأداء لامحالة .. لم يلحظ المشاهدون هذا ، وربما خطر لهم أن هذه أجمل مرة يسمعون فيها (فاجنر) ، والسبب أن الأسطوانة كانت جميلة حقًا ! »

ثم قال لها فى رفق وهو ينظر بعينيه الزرقاوين الصادقتين فى عينيها :

ـ « لن أؤخرك أكثر من هـذا .. لكن لو كانت عنـدك وسيلة اتصال بالحلفاء ، فاخبريهم أن يحاولوا إنقاذك فورًا .. إن أهوالاً لا يمكن تصديقهـا سـتحدث فـى الأيام القليلة التالية ، ولن أفسر أكثر !! »

* * *

٩ ـ الزواج !

اليوم هو 20 إبريل .. بعبارة أخرى هو عيد ميلاد الفوهرر !

وإذا كان البعض ـ ومنهم ألمان كثيرون ـ يؤمنون أن (هتلر) لم تلده أمه ولم يكن طفلاً يومًا ما ، فإننى أؤكد لكم أنه ولد .. وأنه كان رضيعًا يبلل نفسه ويضع إصبعه فى فمه ، ولم يكتب (كفاحى) إلا بعد أعوام عديدة ، فلم يولد وهو يحتضن الكتاب مع المشيمة ..

وقد أعد موظفو الفوهرر ورجاله الخلصاء كعكة عيد ميلاد جميلة ، واحتشد الجميع حولها يغنون : عيد ميلاد سعيد يا فوهرر .. عيد ميلاد سعيد .. كان مشهدًا مخيفًا خاصة إذا عرفنا أن أكثر المغنين كانوا من رجال قوات العاصفة المخيفين ، ومعهم الثور العملاق (جورنج) والثعبان (هملر) .. وطبعًا كان (شبير) هناك ، لكنه لم يشارك فى المرح ..

دمعت عينا الفوهرر وهو يرقب الوجوه فى تأثر ، خاصة أن هذا أتعس عيد ميلاد يمر فى حياته .. ربما آخر عيد ميلاد كذلك .. وفتح الهدية التى قدموها له وكانت ربطة عنق سوداء فاشية كالتى يرتديها الشباب النازى .. طبعًا كانت أروع هدية تقدم له هى رأس (تشرشل) أو (ايزنهاور) أو (ترومان) لكن ما باليد حيلة ..

قال أحد رجال العاصفة :

ـ « سننتصر أيها الفوهرر ! »

نظر له (هتلر) غير فاهم .. هل هذا الرجل أحمق أم مجنون ؟ هل الانتصار مسألة نية لا أكثر ؟

نظر (هتلر) إلى معاونيه ثم إلى (إيفا براون) ومد يده ليمسك يدها فى رفق ، بيده الباردة المرتجفة .. وقال :

ـ « الآن ثمة شىء واحد مهم يجب أن أقوم به .. سأتزوج (إيفا) ! »

شهقت (عبير) وأوشكت على أن تفقد وعيها .. بينما ضغط (هملر) و(شبير) على أسنانهما .. فكلاهما

يعرف الحقيقة .. وللمرة الأولى فطنت (عبير) إلى أن (هتلر) لم يتزوج (إيفا براون) حتى الآن .. ليكن . لكن هل يجب أن يفعل ذلك الآن ؟

قالت فى شبه احتجاج :

- « ليس الوقت مناسبًا كى .. »

- « بل أنت تستحقين هذا من زمن .. الحقيقة هى أننى أردت الزواج بك منذ أربع سنوات لكن المشاغل كانت تجعلنى أنسى هذا كل يوم .. »

إذن هو يعتبر الزواج مكافأة لها على إخلاصها ! وهى مكافأة تجد أنها زاهدة فيها كل الزهد .. كيف تهرب من هذا المأزق السخيف ؟ ثمة حل واحد ، أن تقول إنها ليست (إيفا) .. لكنه فى الغالب آخر شىء تقوله فى الحياة ..

مال (هملر) على أذنها وهمس :

- « لا داعى للإصرار .. إنه مجرد إجراء صورى .. لسوف ينتحر خلال ساعات فلن تطول حياتك الزوجية كثيرًا .. »

لم تدر ما تقول بينما احتشد رجال العاصفة المخيفون ، وراحوا ينشدون أغانى الزفاف .. إن أصواتهم التى خلقت للسباب والتهديد لاتصلح كثيرًا لإضفاء البهجة ..

وفى المساء ودع (جوبلز) موظفيه الدامعين فى وزارة الدعاية قائلا لهم :

ـ « لماذا انضممتم لنا ياحمقى؟ إن أعناقكم الصغيرة سوف تطير الآن .. »

ثم جاء إلى المخبأ بزوجته (ماجدة) وأطفاله الستة ، وتمنوا حظًا سعيدًا للزوجين ، وأخذت (ماجدة) (عبير) إلى ركن المكان لتعلمها كيف تكسب زوجها ، على حين راح الأطفال يتشيطنون ..

وكان الزواج مدنيًا بلا رجال دين .. فقط قدم لها الفوهرر خاتمًا وعقدًا وقع عليه والشهود .. وهكذا أخلى ضميره من ناحيتها .. وبالنسبة لـ (عبير) كان الزواج سهلاً حقًا .. لقد انتهى الأمر كما بدأ وعاد الفوهرر إلى صمته واكتئابه ..

* * *

فى هذه الأيام انتحر كثيرون حقًا .. كل واحد فى الحزب النازى تقريبًا أطلق الرصاص على نفسه ثم على أسرته .. أعرف أن الترتيب خطأ لكن هؤلاء النازيين يفعلون أغرب الأشياء .. هناك عباقرة أطلقوا ست أو سبع رصاصات على رءوسهم ، ومن جديد لا تسألنى كيف ..

(جوبلز) وزير الدعاية النصاب تناول العشاء مع أسرته ، ثم حقن أولاده جميعًا بالسم .. لم يبد الأطفال خوفًا لأنه أفهمهم أن هذا منوم كى لا يخافوا عند ركوب الطائرة مع العم (أدولف) .. الحقيقة أن هذه كانت من اللحظات القاسية ، خاصة أن الأطفال لاذنب لهم ، حتى يموتوا بيد أبيهم وهم لا يعلمون أنهم يموتون .. لابد أن أعصاب الرجل كانت من حديد وهو يفعل هذا ، ثم يطلق الرصاص على زوجته وعلى نفسه .. لكنه كان يفر بهم وبنفسه .. كان يعرف ماسيحدث لأسرته لو سقطت فى أيدى السوفييت ..

وجاء يوم 1 مايو .. وصار السوفييت على بعد ثلاث ساعات أو أقل من المستشارية ..

تناول الفوهرر مع (عبير) عشاءه المكون من المكرونة السباجيتى و الصلصة ، ثم طلب منها أن تصحبه إلـى غرفته .. حيا الموجودين جميعًا وتمنى أن يراهم فـى الجحيم ، ثم دخل معها إلى الحجرة وأغلق الباب ..

اتجه إلى الخزانة فأخرج منها مسدسًا وخنجرًا وبعض السيانيد وحبلاً .. وألقى بهذا كلـه أمامهـا ثـم سـألها فى رقة :

ـ « هل تفضلين أسلوبًا معينًا ؟ »

قالت فى ارتباك :

ـ « لم أجرب مـن قبـل .. لكن هـل يجب أن ننتحر حقًا ؟ »

ـ « لو كنت غير راغبة فى أن يحولـك السـوفييت إلى مخلل فى مرطبان ، فأنا أنصحك بهذا .. »

كان عقلها يعمل بسرعة .. هذه هى اللحظة إذن وعليها أن تقنعه بألا يفعل .. تقنعه بالفرار من (برلين) وتسـليم نفسه للحلفاء .. لاتدرى كيف ، لكن لابد من هذا ..



اتجه إلى الخزانة فأخرج منها مسدسًا وخنجرًا وبعض السيانيد وحبلاً.. وألقى بهذا كله أمامها ثم سألها في رقة ...

قالت له فى رقة :

- « الحلفاء لن يحولوك إلى مخلل .. سيحاكمونك .. ربما كان هذا أفضل و ... »

- « وهى محاكمة معروفة النتيجة سلفًا .. مع كل اليهود الذين فروا إلى الغرب ليس لى أن أتوقع حكمًا بالبراءة . إن الخطاف الذى علقوا عليه (موسولينى) لا يفارق مخيلتى .. لا .. لقد اخترت لنفسى نهاية أفضل بكثير .. حتى الجثة لن يجدوها لأنها ستتحول إلى فحم .. »

ساد الصمت لمدة دقائق ، ثم سألته :

- « ما دامت هذه لحظة الحقيقة .. لماذا أبدت كل هؤلاء اليهود ؟ »

قال وهو يجوب المكان فى عصبية :

- « أولاً لم أبد اليهود فقط .. لقد قتلت كثيرين ؛ منهم البيلاروس والأرمن والسوفييت وسواهم .. فلماذا اليهود فقط ؟ الحقيقة أننى كنت أومن منذ نعومة أظفارى

أن اليهود وباء وطاعون ينخر فى كل الأمـم .. وذات مرة رأيت رجلاً يلبس معطفًا أسود وقبعة سوداء ولحيتـه طويلة سوداء .. وشعره مضفر على جانبى رأسه علـى شكل زنار .. قلت لنفسى : هذا الغراب غريب المنظر لايمكـن أن يكـون ألمانيًـا ولا إنجليزيًـا ولافرنسيًـا .. إنه يهودى ! اليهودية جنسـية سياسـية مستقلة وليست دينًا .. كنت أكرههم بجنون لكنى لـم أبد منهم أكثر مـن نصـف مليـون علـى الأرجـح ، بينمـا أبـدت ملاييـن السوفييت .. »

قالت فى هدوء :

ـ « فيما بعد سيزعمون أنك حرقت سـبعة ملاييـن يهودى فى غرف الغاز ! »

صاح فى غيظ :

ـ « الهولوكاست !! المحرقة ! تبًا لهم مـن كذابيـن ! لقد كانوا يتعاونون معى كثيـرًا فى بدايـة الحـرب ، ثم

أدركوا كم أمقتهم .. غرف الغاز لم تستخدم قط ..
وأكرر .. لقد كان عدد يهود العالم قبل الحرب أحد
عشر مليونًا وظل كذلك بعد الحرب ، فمتى قتلت أنا
السبعة ملايين ؟ لنقل إننى قتلت ما يوازى ما أنجبوه
فى سنوات الحرب .. أى نصف مليون على الأكثر ..
بعد موتى ستنشط أجهزة دعايتهم لتوحى للناس أن
النازية جاءت لتبيد اليهود ولم يكن لها عمل آخر ،
وأن المحرقة هى أبشع شىء حدث فى التاريخ ، وكل
ما عداها مزاح ولا يستحق الاهتمام ..

« هذه هى حسابات (بن جوريون) اللعين .. سيضغط
على أعصاب أوروبا بهذا الكلام .. سيزعم أن إسرائيل
هى الممثل الوحيد ليهود العالم على طريقة (وكلاء
وحيدون ـ ليست لنا أية فروع أخرى) .. ولسوف يبتز
ألمانيا طالبًا التعويضات ، ولن يجسر أحد على الاعتراض ..
ستكون المحرقة النازية هى مصدر (أكل العيش)
الوحيد لإسرائيل ، كما كان الحواة النصابون يصنعون
نموذجًا ملفقًا لعروس البحر من جثة قرد وسمكة
كبيرة ، يعرضونه على الناس مقابل مال ..

« بعدها سيسبك اليهود مصطلح (المعاداة للسامية) الكريه ، يتهمون به كل من يشكك .. أما الجائزة الكبرى فهى احتلالهم لبلد برىء هو (فلسطين) .. سيحصلون عليه برضا أوروبا ، وسيزعمون أن هذه هى مكافأتهم وتعويضهم عن كل ما ذاقوه على يدى النازى ..

« الهولوكاست ! لابد أن يكون لديهم هولوكاست لأن التوراة تعدهم بفلسطين مقابل الهولوكاست .. وفى فلسطين سيرتكبون من المجازر ما عجز (هملر) وكل رجال العاصفة عن عمله ..

« سيصنعون أفلامًا عظيمة مؤثرة عن الهولوكاست كلها كذب ، لن يكون (أوراق شندلر) آخرها - و(ستيفن سبيلبرج) يهودى متعصب بالمناسبة - سيكتبون مذكرات أشخاص عاشوا فى الهولوكاست .. سينشرون صورًا لأفران غاز لم توجد .. والخلاصة أن العالم سيسمح لهم بأى شىء باعتباره لاشىء يعادل ما عانوه هم .. كل من يشك فى حقيقة معسكرات

الاعتقال سيطارد بقسوة ويسجن ويضرب وربما يقتل .. سيكون فى فرنسا ما يدعى (قانون جيسو) الذى يسمح لك بمناقشة الأديان وكل شىء .. لكنه لايسمح لك لحظة بالشك فى حقيقة الهولوكاست(*) !

« إنهم دنسون منافقون .. والخطأ الوحيد الذى اقترفته هو أننى لم أقتل منهم عددًا كافيًا .. ولم أفعل ما سيقولون إننى فعلته !! »

كعادته كان قد وصل فى الصراخ والانفعال إلى الذروة ، ثم بدأ منحناه يهبط ، وصوته ينخفض ويهدأ .. وقال لها :

ـ « دعينا من اليهود ولنناقش كيفية انتحارنا .. »

إنه مصر !! لم ينس الأمر بعد ..

قالت له فى ارتباك وهى تبحث فى ذاكرتها عن حجج ما :

(★) بالطبع لا يعرف (هتلر) التفاصيل الكاملة لما سيحدث ويمكنك ـ لو كانت أعصابك قوية ـ قراءة المزيد عن الموضوع فى كتاب (جارودى) الشهير (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) . ترجمة محمد هشام . دار الشروق .

ـ « لنفرض لحظة أننى لا أريد الانتحار .. »

ـ «لن أسمح للروس بأن يعرضوك فى حديقة الحيوان باعتبارك زوجة (هتلر) .. إن كرامتك كألمانية آرية تحتم عليك أن تلحقى بزوجك .. »

ثم ناولها زجاجة السيانيد التى تفوح منها رائحة اللوز المر ، ورفع المسدس نحو صدغه وقال :

ـ « أعتقد أن السموم تناسب النساء أما المسدس فهو يناسب الرجال الشجعان .. والآن .... »

رفعت يدها مستغيثة تحاول منعه واحتبس الكلام فى حلقها .. من الواضح أنه لاجدوى هنالك من ..

هنا دق جرس الهاتف بإلحاح .. قال (هتلر) وهو يتجه ليرفع السماعة :

ـ « لا يستطيع المرء أن ينتحر فى سلام .. لا بد من مشاكل العمل دائمًا .. على العموم ستكون هذه آخر مصيبة أسمعها فى حياتى .. آلو ... »

وساد الصمت للحظة ، وتراخت ذراعه واتسعت عيناه .. رأت المسدس يسقط من يده ، ثم رأته ينتصب فى وقفته .. الدم يعود إلى وجنتيه ..

- « ومتى تكون جاهزًا ؟ اليوم ؟ عظيم عظيم ! »

ثم وضع السماعة ونظر إليها .. وابتسم :

- « لقد تغيرت الأمور .. لن يكون هناك انتحار إن الرايخ سيبقى ! »

* * *

١٠ ـ ما زال كل شىء ممكنًا ..

عند المساء وصل (هاينريتشى) إلى المخبأ السرى ممتقع الوجه .. جلس ينتظر الفوهرر متوترًا ..

الحقيقة أنه كان فى موقف غاية فى السوء ، فقد رأى أن الفرقة المدرعة الثالثة ـ الوحيدة الباقية من جيوش الفستولا ـ فى وضع ميئوس منه .. لهذا أصدر أوامره إلى قائد الفرقة بالانسحاب .. فعلها دون أن يطلب إذنًا شخصيًا من (هتلر) الذى كانت تعليماته صريحة بهذا الصدد .. كان يعتبر أن (هتلر) فقد أهليته للقيادة ولم يعد صالحًا لقيادة ثلاث دجاجات إلى عشها .. وقد صار هو المسئول عن حياة هؤلاء الجنود الذين سيموتون دون طائل ..

لكنه كان يعرف جيدًا مصير من يخالفون أوامر الفوهرر صراحة ..

وصدر له الأمر بالتوجه إلى برلين ، فركب سيارته وأمر السائق بالانطلاق لكن ياوره دنا منه وقال متوسلاً :

- « أتوسل إليك يا سيدى أن تتباطأ فى الذهاب إلى برلين .. »

- « هذا مطلب غريب .. هل لى أن أعرف السبب ؟ »

- « كنت ياور قائد عظيم اسمه (روميل) يومًا ما .. وفى يوم اختلف (روميل) مع القيادة وصدرت إليه الأوامر بالذهاب إلى برلين .. ومن يومها مات (روميل) .. »

- « لقد انتحر (روميل) .. هذا شىء معروف .. »

- « لا يا سيدى .. (روميل) قد أرغم على الانتحار لأنه كان يرى أن ألمانيا لن تربح هذه الحرب .. وإننى لأتوسل إليك أن تقود السيارة ببطء لأن الحرب قد تنتهى أو ينتحر الفوهرر قبل أن تبلغ برلين .. وعندها تكون أنت فى أمان .. »

شكره (هينريتشى) وابتسم فى سره .. ثم استرخى فى مقعده وقال للسائق ما معناه (سوق على مهلك سوق ..) .. لسنا متعجلين هنا ..

ووصل إلى برلين مساء متوقعًا أن يجد الحرب انتهت أو أن (هتلر) مات ، لكن الكارثة أن كل شىء كان كما هو .. وعرف أن الفوهرر ينتظره بفارغ الصبر .. معنى هَذا واضح ، وبالتأكيد يعرف الرجل ما حدث من انسحاب ، وسيكون جزاؤه محددًا أليمًا ..

دخل الفوهرر ومعه (عبير / إيفا) فنهض الكولونيل جنرال ، وفرد ذراعه المشدود هاتفًا فى هستيريا :

ـ « هايل هتلر !! »

لم يهتم الفوهرر بتحية جنراله إنما أشار له أن يجلس .. كان منتعشًا على غير العادة ، وقد توقع (هاينريتشى) أن يطلق عليه الرصاص بنفسه أو ـ على أقل تقدير ـ يأمر الرجال بإعدامه .. لكن الفوهرر بدا متمالكًا أعصابه ، وقال لضيفه فى مرح :

ـ « بلغنى أنك أمرت الفرقة الثالثة بالانسحاب .. دون أوامر منى .. »

ـ « حدث يا سيدى الفوهرر .. »

- « وأن الوضع سيئ جدًا فى الجبهة الشرقية .. إن السوفييت يدخلون برلين الآن ، وإن كانت حرب الشوارع تؤخرهم قليلاً عن بلوغ (فلهلمشتراسه) .. »

- « نعم يا سيدى الفوهرر .. »

استرخى الفوهرر فى مقعده وقال بهدوء :

- « إن النصر لنا يا (هاينريتشى) وقد أردت أن تكون أنت القائد العام .. إن (جورنج) وغد نصاب و(هملر) يحاول التفاوض مع الحلفاء من وراء ظهرى .. الوحيد المخلص لى هو (جوبلز) وقد انتحر .. »

لم يبد الجنرال أية دهشة .. فأنت لن تندهش لو قيل لك إن الشمس تشرق من الشرق ، وأنه لايمكن حلب الثيران .. فقط قال فى كياسة :

- « هذا حقيقى يا سيدى الفوهرر .. »

ثم أضاف :

- « ولكن هل لى أن أعرف كيف يكون النصر لنا ؟ »

بصوت جهورى مجلجل صاح الفوهرر :

- « لقد فرغ العلماء الآريون من صنع ثلاث قنابل ذرية .. أول ثلاث قنابل ذرية !! وصوار يخنا عابرة القارات التى صممها البروفسور (أوتوفون براوننج) تحملها الآن إلى (موسكو) و(لندن) ..و(نيويورك) !!»

صمت الجنرال غير فاهم ، ثم نظر إلى (عبير) محاولاً الفهم .. لكنه رأى الحقيقة فى وجهها .. كانت عصفورًا سقط فى الشرك .. كانت تبكى بلاصوت ولا دموع ..

قال الجنرال فى كياسة مبحوح :

- « معذرة يا سيدى .. أعتقد أن هذه القنابل التى تتحدث عنها يصنعها الأمريكان الآن فى (لوس ألاموس) تحت إشراف العالم اليهودى (أوبنهايمر) .. لقد استوحوا الفكرة من عالم يهودى آخر فر من شرق أوروبا هو (زيلارد) .. »

- « تقارير المخابرات تقول هذا .. لكن القنبلة ليست

جاهزة بعد ، وهم يزمعون استعمالها ضد اليابانيين حين تكتمل .. وما تعرفه أنت أننا كنا نجرب النظريات ذاتها طيلة هذه السنين .. ولم يهاجمنا الحلفاء إلا بعد ما تأكدوا يقيناً من أننا لم نصل لهذه القنبلة بعد ، وإلا لانتهت الحرب منذ شهور لصالحنا .. لكننا اليوم سبقناهم !! تمكن البروفسور (فون كاوفمان) من إنهاء التصميم فى اللحظات الأخيرة قبل سقوط برلين .. وقد بذل الرجال جهداً جباراً كى يفرغوا منها .. (شبير) كرس كل ما بقى من إمكانيات الرايخ لإنهاء المشروع فى أسبوعين .. إنه اعظم وزير إنتاج حربى فى تاريخ الحروب .. »

ثم رفع كفه اليمنى مبسوطة إلى السماء فوق ذراعه المثنية ، وراح يغنى :

ـ « ألمانيا فوق الجميع !! »

سأله الجنرال الذى هزه الخبر :

ـ « لكن هذه القوات التى تحاصرنا .. لسوف .. »

ـ « لن تعود هناك قوات ! سترى ما سيحدث فى الساعات القادمة ! »

* * *

قبل هذا بساعتين ، فى مكان ما من الجبال ، ارتفعت الشبكة الخادعة ـ كاموفلاج ـ التى نشرها النازيون فوق أعتى أسرار الحرب ، والتى نثروا فوقها الأتربة والنباتات لتبدو لأى مراقب جوى جزءًا من الطبيعة المحيطة بها ..

الصواريخ الرهيبة عابرة القارات التى صممها (أوتوفون براونج) ، والتى كانت كابوس الحلفاء ولم يستطيعوا إثبات وجودها قط .. كان (هتلر) يعرف أنها صواريخ تقليدية لا دور لها فى الحرب ، ولن تؤذى بأكثر مما تحدثه قنبلة ساقطة من الجو ، مع ارتفاع التكلفة ..

أما الآن ومع تلاشى سلاح الطيران الألمانى ـ لوفتفاف ـ ومع بعد أمريكا النسبى عن مجال الطيران فى هذا الزمن ، فإن أهمية الصواريخ صارت مطلقة خاصة أنها ستحمل رءوسًا غير تقليدية ..

كانت ألمانيا قد جربت الغازات السامة فى الحرب العالمية الأولى ، واليوم ستجرب النووى .. لم تتورع ألمانيا قط عن استخدام سلاح تملكه .. وهى تعرف أن الحلفاء كانوا سيفعلون نفس الشىء .. كلنا يعرف أنه ما إن اخترع الأمريكيون القنبلة الذرية ، حتى راحت أيديهم تدغدغهم .. لماذا لايجربون ؟ لماذا لايقذفونها على اليابان ؟ وقد فعلوها فى عالم الواقع ، وتبخرت مدينتا (هيروشيما) و(ناجازاكى) فى ثوان ..

اليوم تحاول ألمانيا إنقاذ نفسها للمرة الأخيرة باستعمال هذا الاختراع الوليد ..

الصواريخ أيضًا ـ منذ خمسة وخمسين عامًا ـ لم تكن على ما يرام ، وكانت هناك مشاكل خطيرة فى التوجيه .. حتى ليذكرنا هذا بدعابة الرجل الذى يفشل فى إصابة شقة بمدفع موضوع داخلها .. لكن فريق العلماء كان ممتازًا ، والحقيقة التاريخية تقول إن الزعيم (جمال عبد الناصر) استعان ببعضهم فى تصميم الصاروخين المصريين (القاهر) و(الظافر)

اللذين كانا جدى صاروخ (سكاد) .. وكان النجاح مبهرًا إلى أن أجهض المشروع بسبب التهديدات الإسرائيلية المستمرة ، والطرود المتفجرة التى تصل للعلماء فى البريد ..

وهكذا جاءت ساعة الصفر ، وانطلقت الصواريخ الثلاثة نحو مهمتها الجحيمية ..

وبعد ساعتين - بينما كان (هتلر) يتكلم مع (هاينريتشى) - هوى أول الصواريخ على لندن .. ابيضت السماء والأرض وارتفعت سحابة عش الغراب الشهيرة .. ثم صمتت إذاعة (لندن) تمامًا ..

وبعد ساعة أخرى صمتت إذاعة (موسكو) ، وعلى الجانب الآخر من الأطلنطى اختفت (نيويورك) .. إنها أهم وأشهر من (واشنجتون) بالتأكيد ، لهذا اختارها الفوهرر ..

وعرف العلماء النازيون أنهم نجحوا .. ومتى ؟ فى اللحظات الأخيرة للرايخ .. فى الوقت الضائع للمباراة ..

ودوى صوت راديو برلين من مخبئه خارج العاصمة يعلن الخبر ..

ثم جاء صوت (هتلر) قويًا كعادته فى أيام الصعود الأولى :

- « على حكومات الحلفاء أن تقى شعوبها خطر هذا الجحيم .. وإننى لأطالبها بإعلان الاستسلام الكامل خلال أربع ساعات ، وإلا حدث الشىء ذاته مع ثانى أكبر مدينة فى كل دولة .. »

ثم أضاف فى ثقة :

- « إنهم يعرفون رقم هاتفنا ، ويمكنهم طلبنا فى أى وقت لتوقيع الاستسلام ! »

وبالصدفة كانت هذه هى ذات العبارة المتغطرسة التى قالها (موشى ديان) للعرب بعد هزيمة يونيو 1967 !

* * *

١١ ـ الذى يجب أن يموت ..

أيام صاخبة بحق ..

فى البداية كانت أول علامة شعرت بها (عبير) هى أن الغارات توقفت .. كفت أصوات القصف المستمرة ، وإلى الشارع خرج أهل برلين يرقصون ويغنون .. وأظهرت قوات العاصفة مرحًا وتهذيبًا يندر أن نراهما فيهما .. لقد بدأت القوات تتراجع ..

وراح (هاينريتشى) يبذل مجهودًا جهنميًّا فى تجميع فلول الجيش النازى الهاربة أو المبعثرة ، وفى النهاية صار عنده جيش لا بأس به يمكنه الإشراف على عمليات التسليم ..

فى الوديان التى اجتاحتها قوات (مونتجمرى) و(عمر برادلى) وقف الجنود الأمريكيون والبريطانيون وقد نزعوا خوذاتهم يرقبون بعضهم بذهول .. لقد

كان النصر على بعد خمسة سنتيمترات ، وفجأة تبخر تمامًا .. ما معنى هذا ؟

ولم تكن هناك أنباء من الوطن على الإطلاق ..

يقول الإنجليز إن عدم وجود أخبار هو خبر طيب فى حد ذاته ، وهو تعبير آخر من التعبيرات التى يكشف التدقيق فيها أنها غبية .. لو كان أهلك يرسلون خطابًا يوميًا لك ثم انقطع هذا الخطاب ، فماذا تستنتج ؟

لا أخبار من إنجلترا ولا الولايات .. فهل هذا خبر طيب ؟

فقط كانوا يسمعون أخبارًا متناثرة عن الشوارع التى أذابها الإشعاع ، أو تحولت إلى غبار مشع .. عن الأشخاص الذين تبخروا .. والحروق المريعة .. وسرطان الدم وشلل النخاع ..

عندها كانوا يرمقون الأفق بعيون ذاهلة لامعة ويرتجفون ..

إذن كـان هتلر على حق .. لقـد جـاءت النازيـة لتبقى ، ويبدو أن الجنس الآرى كان يستحق بحق ..

* * *

وبعد يومين تم لقـاء الأربعة الكبار فى (ميونيخ) هذه المرة ، وهم الذين التقوا فى (يالطة) قبل ذلك لتنسيق الكفـاح المشترك ضد قوى المحور .. كـان هؤلاء هم (ستالين) بشاربه الكث ، و(تشرشل) بسيجاره الغليظ ـ لم يكن فى لندن حين سقطت القنبلة ـ و(ترومان) بعينيه المندهشتين .. أما الرابع الذى جلس فى صدر المائدة فكان (أدولف هتلر) نفسه .. وكان قد استعاد حيويته ونظرة عينيه المخيفة ، وتوارت الرجفة التى كانت تسيطر عليه .. وقد استرخى فى مقعده واضعًا ساقًا على ساق ..

كان هناك مترجم ألمانى ـ سوفييتى وألمانى ـ إنجليزى وكانت وثائق الاستسلام جاهزة .. وتم التوقيع ..

ثم وجه (هتلر) كلامه إلى (ترومان) :

ـ « أريد أن يتم تسليم كل علماء الذرة اليهود العاملين عندكم لى .. يجب أن أعدمهم للتأكد من سرية القنبلة .. ولسوف تصل إلى الولايات لجنة تفتيش للتأكد من عدم وجود نوايا أخرى لمشروع نووى .. »

كانت (عبير) تسمع هذه الكلمات فى الإذاعة الألمانية، هناك حيث جلست فى دار المستشارية فوق الأرض لاتحتها .. ابتسمت فى سرها وقد تذكرت موقفًا مشابهًا فى عالم الواقع ، كانت أمريكا فيه هى من يفرض شروطه ..

ـ « أريد عقد محاكمات فى (نورمبرج) للقصاص من كل من سولت له نفسه إيذاء ولحد من الجيش الآرى .. »

ـ « ليكن .. »

ـ « أريد محاكمة (إيزنهاور) و(مونتجمرى) و(زوكوف) وسواهم باعتبارهم مجرمى حرب .. »

ـ « ليكن .. »

ـ « سأشكل لجنة نازية لإعادة كتابة التاريخ ..

إن المنتصرين يكتبون التاريخ دائمًا ، وتاريخى سيحكى كيف انتصرت على الذل والغباء والخيانة ، وكيف هزم جنود الحلفاء بسببها .. »

- « ليكن .. »

- « أريد الكثير من الإعدام .. أريد أن تتوسع المحارق وأن تؤدى بحق الدور الذى كانوا سيزعمون أنه لها ! سأحاول الوصول إلى رقم السبعة ملايين يهودى ، برغم أن هذا عسير جدًا .. »

- « ليكن .. »

كانت (عبير) تصغى لهذا كله حين سمعت من يتحرك من خلفها .. نظرت للوراء لتجد أن القادم هو الجنرال (هاينريتشى) الذى صار قائد الجيوش النازية جميعًا .. ومعه المهندس (شبير) الذى لمح لها بما سيحدث ..

دنا منها الأول وجلس جوارها ، وابتسم :

ـ « هل سمعت شروط الاستسلام ؟ »

ـ « نعم .. »

ببطء قال وهو ينظر فى عينيها :

ـ « هل تغيرت مهمتك الآن ؟ لم يعد عليك إنقاذ الرجل بل قتله ! »

نظرت له فى حيرة ثم نظرت إلى (شبير) .. لم تعد هناك جدوى إذن .. لقد تبادلا الأسرار .. والآن طبعًا قرر (شبير) أن يكتون مخلصًا للرايخ .. هذه طبائع الأشياء .. لاجدوى على كل حال من ادعاء البراءة ، فمن الواضح أنه مكتوب على جبينها : (أنا جاسوسة الحلفاء فاقتلونى) ..

لما لم ترد قال (شبير) :

ـ « الأمر واضح تمامًا .. (هتلر) استعاد لياقته وتوازنه وسرعان ما يدرك أنك لست أنت .. إن حياتك صارت فى الميزان .. ولا أدرى ما يكون موقفك لو عرف مانعرفه .. بالإضافة إلى أنك فقدت أى

اتصال بالوطن الذى استسلم بدوره .. لايحتاج المرء إلى خيال واسع كى يرى رجال الجشتابو بثيابهم الواقية من الإشعاع ، فى لندن الآن عاكفين على تفتيش كل وثائق الـ MI - 6 وعندها سيجدون إشارة واضحة إلى العميلة التى تلعب دور زوجه (هتلر) الآن .. »

قالت فى ملل :

ـ « اسمها عملية (لورالاى) إن كنت لا تعلم .. والآن .. طلباتك ؟ »

للمرة الثانية تستعمل هذه العبارة التى تكرهها ..

قال (هاينريتشى) وهو يشعل سيجارًا :

ـ « الأمر سهل .. (أدولف هتلر) يجب أن يموت .. ومن يقتله يجب أن يكون من أقرب الناس له .. »

ـ « هل هى لعبة الصراع على السلطة المعهودة ؟ »

ـ « ربما نعم وربما لا .. لكننا نرى المستقبل بوضوح ..

إنه كابوس مجسد .. سوف يلتهم أوروبا وإفريقيا وآسيا .. ثم ينهى وجبته بأمريكا .. لن يوقفه شىء .. سيخرج كل عقده الكامنة ويموت الملايين .. إن لديه الآن القوة المطلقة ولسوف يغدو حاكم العالم كله .. »

ثم لوح أمام عينى (عبير) بكفه المفتوحة .. وكان الكف قرص صغير أبيض .. قال :

ـ « هذه الأقراص تذوب فى أى مشروب ، وليست لها رائحة أو مذاق خاص .. »

نظرت للقرص فى جزع ، ونظرت للجنرال فى رعب :

ـ « أنتما خائنان إذن ؟ »

ـ « لا .. لكننا نحب ألمانيا أكثر منه .. نحب العالم والبشر أكثر منه .. إن النازية شر .. كل دعوة عنصرية شر لا بد من التخلص منه .. ربما سررنا قليلاً لأن أمريكا وبريطانيا ترتجفان ، ولكن النازية غول مدمر .. اليوم تلتهم خصومنا وغدًا تلتهمنا نحن .. إن (هتلر) لم

يعد يملك سقفًا يتوقف عنده .. وهذا هو ما نحاول الخلاص منه ..

« يجب أن تفكرى بعقلية عملية .. إن موت (هتلر) هو الضمان لسلامتك الآن .. وسلامة بلادك غدًا .. وسلامة الكرة الأرضية بعد غد .. »

مدت كفًا مستسلمة منومة مغناطيسيًا فألقى بالقرص فيها ، وابتسم مشجعًا .. كان يشبه (شريف) ولهذا صدقته ..

★ ★ ★

وبعد الظهر جاء (هتلر) ، ليجدها جالسة جوار الشرفة المفتوحة فى دار المستشارية ، وأنسام حنون تتسلل إلى الداخل مطيرة الستائر الهفهافة .. برلين تبدو من النافذة .. صحيح أنها خراب تنعق فيه البوم ، لكنها مريضة ستسترد عافيتها سريعًا ..

كانت أسنانه تؤلمه كالعادة وطلب من سكرتيره (بوبر) أن يستدعى له (كافى هوسرمان) كى تخلع له المزيد

من الضروس .. إن هذا الرجل يستمتع بانتزاع الضروس نفس استمتاعنا بقص أظفارنا ..

وجاءت الحسناء لتنزع له ضرسًا آخر ، وحشت فمه بالقطن وطلبت منه ألا يأكل شيئًا الليلة .. كان الآن رائق المزاج مواظبًا على النوم تسع ساعات يوميًا ، وقد زالت من يده الرجفة ، وزاد وزنه قليلاً .. وكان يجد من الصعب نوعًا أن ينام دون عشاء ..

طلب من (عبير) أن تعد له بعض العصير البارد ، لأن هذا سيريحه قليلاً ..

وهكذا أدارت (عبير) ظهرها له ، وراحت تعد العصير .. بيد مرتجفة أسقطت القرص فى الكأس ، ثم أخذت شهيقًا عميقًا كى لاترتجف يدها أمامه .. وراحت تردد لنفسها : أنا لم أدس لك سمًا ! أنا لم أدس لك سمًا .. صدقنى ..

وتظاهرت بذلك .. وقدمت له الكأس ، فرمقها بنظرة ثاقبة قاتلة دامت قرنين ، كما يفعل كل من تقدم لهم السم .. ثم تناول الكأس وبدأ يرشف منه .. قال لها وهو يمسح شفتيه :



وهكذا أدارت (عبير) ظهرها له ، وراحت تعد العصير .. بيد مرتجفة أسقطت القرص فى الكأس ..

ـ « لقد فرغ الرجال من صنع ثـلاث قنـابل أخـرى .. سأدك (بومباى) و(ستالينجراد) و(أونتاريو) .. »

ـ « ولماذا ؟ أنت ربحت الحرب .. »

ـ « يجب تحطيم تماسـك هؤلاء القـوم النفسـى .. يجب تحويلهم إلى .. إلى .. »

وبحث عن لفظ وفى النهاية وجد التعبير الموفق :

ـ « إلى مخلل !! ها ها ها ها ه !! »

ثم عاد ينظر لها مليًا وقال :

ـ « لقد بدأت باستبدال كل معاونى .. تخلصت من (هملر) و(جورنج) .. ولسوف أتخلص من (شـبير) و(بوبر) .. لابد من دماء جديدة طازجـة للرايخ .. إن شباب العاصفة قادرون على الهبـوط علـى الصفـوف الأمامية .. بالمناسبة .. »

ورأته ينظر فى اهتمــام إلى عنقهـا .. آه ! لابد أن هنـاك شامة ليست هناك كما توقعت بالضبط ..

قال لها :

ـ « ما موضوع هذه الشامة ؟ »

قالت فى ارتباك وهى تتراجع إلى الوراء :

ـ « شامة ؟ لقد أزلتها بعملية جراحية بسيطة .. »

ـ « بل ما أعنيه هو وجود شامة لم أرها من قبل ! هل أصبت بسرطان الجلد أخيرًا ؟ »

ـ « إنه الجو المظلم الرطب فى المخبأ .. هذا يتلف الـ .. جلد .. تمامًا .. »

ـ « لا أدرى .. إنها المرة الأولى التى أراك فيها فى ضوء النهار منذ زمن طويل .. ثمة أخطاء كثيرة فى مظهرك .. كأنها لوحة من عصر النهضة حاول رسام خشن الموهبة أن يعيدها .. أنا كنت رسامًا وأعرف ما أقول .. (إيفا) .. يخيل إلى أنك لست أنت ! »

ـ « هل تمزح ؟ »

نهض نحوها واتسعت عيناه المخيفتان كعينى النمر المنقض .. وأدركت أن كل شىء ضاع .. لن يعمل هذا القرص .. من الواضح أنه كان طلقة اختبار من (هاينريتشى) لا أكثر ..

- « (إيفا) .. اقتربى أكثر .. أريد أن أتملى وجهك بعناية ! »

فجأة تقلصت ملامحه .. أمسك صدره وفتح فمه باحثًا عن هواء ..

ثم .. بوم ! هوى على الأرض مكومًا ..

لقد مات مستشار الرايخ أخيرًا ..

* * *

سمعت خطوات وراءها فالتفتت لتجد المرشد واقفًا وهو يداعب القلم كالعادة ..

قالت له وهى ترتجف وترمق ما فعلته يداها :

- « هل كنت تنوى تركى هنا للأبد ؟ أنا لم أسر بقدومك قط مثل هذه المرة .. »

قال لها فى برود :

- « هدفنا إمتاعكم .. لا أحب أن آخذك من المغامرة قبل أن تنعمى بها جيدًا .. الآن قد مات الدكتاتور وستعود الأمور لتستقر لأن (هاينريتشى) و(شبير) راغبان فى السلام .. هذا عالم خسر الكثير ، ويحتاج إلى نحو عشرين عامًا كى يستعيد توازنه .. ربما ما حدث فى عالم الواقع أفضل .. لقد مات (هتلر) منتحرًا ، واجتاح السوفييت برلين ليجدوا جثته وجثة (إيفا براون) محترقتين .. لو كان قد وجد القنبلة الذرية بين يديه فعلاً لاهتز الكون لهول انتقامه .. »

قالت له وهى ترمق الجثة شاخصة البصر :

- « برغم كل شىء .. لقد التقت ميولى معه فى شىء واحد : كراهية اليهود .. »

ـ « (هتلر) كان يكره اليهود ، أما نحن فنكره الصهاينة .. وإسرائيل ليست الممثل الشرعى الوحيد ليهود العالم كما تصر على أنها كذلك .. لكن النازية والصهيونية على العموم يلتقيان فى نقاط كثيرة جداً ، وليس من الحكمة أن نحب النازية لمجرد أننا نكره الصهيونية ، كما حاول بعض المصريين فى أثناء الحرب العالمية الثانية التعاون مع النازيين لمجرد أنهم يكرهون الإنجليز .. كل النظم العنصرية الدموية كريهة وكلها يجب أن تباد .. ولو دخل النازيون مصر فلا أحسب أنهم كانوا سيتحولون إلى ملائكة فجأة .. »

كانا الآن يمشيان فى (فلهلم شتراسه) مقر المستشارية ..

ومن بعيد ترى (برلين) المريضة السقيمة التى تمقت الماضى وتتحاشى الحاضر وتهاب الغد .. نتيجة

جنون رسام فاشل حاول أن يصبغ الكرة الأرضية باللون الأحمر ..

وكان قطار (فانتازيا) ينتظر عند نهاية الشارع ..

★ ★ ★

فى القصة القادمة تعيش (عبير) أحداث عام مهم من أعوام مصر .. 1919 .. عام فريد من نوعه لكنها تعيشه بمقاييس (فانتازيا) التى لا مقاييس لها ! فماذا رأت وماذا سمعت ؟

تمت بحمد الله

روايات مصرية للجيب








د. أحمد خالد توفيق

تعزف أوركسترا (برلين) مقطوعة (جوتر داميرونج) .. وتخلو الشوارع المهدمة من الحياة .. وفى مخبئه السرى ينتظر (هتلر) النهاية فى مرارة ، على صوت غارات الحلفاء التى لا تنقطع ليلاً ولا نهارًا ...

الجيوش الأمريكية والبريطانية والسوفيتية تتقدم فى جموح عبر أوربًا ؛ لتفوز بالجائزة الكبرى (برلين) ، وطبعًا رأس دكتاتور النازية .. لكن المخابرات البريطانية كانت ترى السيناريو بشكل مختلف ، و(أدولف هتلر) كذلك كان يملك حلولاً لم تخطر ببال أحد ..

مطابع سلاح التلميذ

القصة القادمة
١٩١٩

الثمن فى مصر ٢٠٠ ص
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم